

سلسلة رواد التنوير

طه حسين

مسيرة حياة وقصة كفاح
من أجل تنوير الفكر المصرى

د. عبد المنعم ابراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

٢٠١٢

رئيس مجلس الإدارة
السفير إسماعيل خيرت

الإشراف العام
إيمان الروبى

الإشراف التنفيذي
د. إسماعيل عبد الفتاح

إشراف فنى وتجهيز
فؤاد عبد الرحيم

إخراج
أشرف أبو النيل

تصميم الغلاف
شيرين الخزامى

الفهرس

مقدمـــة

تعد حياة طه حسين وظروفه الخاصة مثلا أعلى للكفاح والجهاد، ولتغلب الإنسان على جميع المعوقات الفردية والاجتماعية مهما كبرت، فرغم ظروفه البصرية، وطفولته القاسية استطاع ما شاء له ذكاؤه الخارق أن ينهل من ينابيع الثقافة الإنسانية التى تمكن بها من إحياء الدور التنويرى للمجتمع المصرى، وبعث كل ما هو أصيل فى الثقافة القومية حتى اعتبر وبحق واحداً من قمم الصفوة التى تولت مهمة تنوير المجتمع المصرى منذ بدايات القرن العشرين، فقاد حركة التنوير الفكرى بوعى كامل منذ مراحل دراسته بالجامعة المصرية، ثم عمله أستاذا وعميدا فى كلية الآداب بها، وانتدابه للعمل مراقبا عاما للثقافة بوزارة المعارف ثم مستشارا فنيا لوزير المعارف .

ومن خلال هذه الوظائف دعا طه حسين إلى الاصلاح الاجتماعى والحرية والعدل والفرص المتكافئة، كما دعا لوضع أصول جديدة لمنهج التغير الاجتماعى وإرساء القيم والتقاليد الجامعية وحرية البحث والفكر فكان أقوى مدافع عن استقلال الجامعة وحرية الفكر بها، وخاض من أجل ذلك العديد من المعارك ، وإلى جانب ذلك فقد كان لطه حسين دور كبير فى إنشاء جامعة الإسكندرية التى كان أول مدير لها، وعندما وصل إلى منصب الوزارة فى عام ١٩٥٠ اشترط لقبول هذا المنصب أن يتضمن خطاب رئيس الوزراء فى البرلمان وعدا باعلان مجانية التعليم ، وقد نجح فى ذلك حيث تقرر مجانية التعليم الثانوى والفنى، أما عن مجانية التعليم العالى فقد رفضه الملك.

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ينصرف طه حسين إلى الإنتاج الفكرى وإلى ألوان النشاط فى المجامع العلمية، فكان رئيسا لمجمع اللغة العربية وعضوا بالمجمع المصرى، وبالمجلس الأعلى للفنون والآداب وغيره وتبعا لذلك فقد تم تقسيم موضوع هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول، ومقدمة وخاتمة وكان من الطبيعى أن يكون الفصل الأول بعنوان "مسيرة حياة طه حسين الجامعية" منذ أن كان طالبا وحتى وصل إلى منصب العميد، ويكون الفصل الثانى بعنوان "دور مؤلفات طه حسين وكتاباته فى حركة التنوير"، أما الفصل الثالث فهو بعنوان: "أثر طه حسين فى تنوير الفكر المصرى الحديث"، أما الخاتمة فقد تناولت أهم ما ورد فى هذه الدراسة.

وفى النهاية أرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ فى إضافة شئ جديد يفيد شباب المصريين وشيوخهم ويعمل على تنوير أفكارهم .

والله ولى التوفيـــــــق،،،

المؤلف

الفصل الأول
مسيرة حياة طه حسين الجامعية

إن كان يستحق الإعجاب من نبغ والظروف مواتية له ، مما يَسَّرَ له أن يشق طريقه نحو التفوق فأولى بالإعجاب من ينبغ والظروف له معاكسة ليس فقط من ناحية الثروة والنفوذ والحسب والنسب، ولكن لأنه كان فاقدا لنعمة البصر، واستطاع بعزيمته وإرادته القوية قهر الصعاب، وأن يثبت أن محنته كانت سببا من أسباب عظمته إنه الدكتور طه حسين الذى استطاع قهر الظلام، وتمرس على أن تكون بصيرته عوضا عن بصره، فوهبته رحمة الرحمن قدرا أكبر مما حرمه القدر، فأعطاه الله تعالى ذلك الضوء الفكرى لبصيرته، وأغناه بذاكرته حتى تحقق فيه المثل الشائع " العين تسمع والأذن ترى" فشق رحلة حياته متحديا الصعاب والعقبات حتى استطاع أن يحفر لنفسه بذلك موضعا بين كبار عظماء مصر، وأصبح علامة بارزة مميزة وشاهدا على عصر ثقافى وأدبى هو أحد صناعه .

ولد طه حسين سلامة فى عزبة "الكيلو" احدى قرى مركز مغاغة بمحافظة المنيا فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ ، وقد فقد بصره فى الثالثة من عمره ولكن عوض عن ذلك بذكاء حاد، وذاكرة قوية . وبعد أن حفظ القرآن الكريم وأَلَمَّ بالعلوم الدينية والعربية أُرْسِلَ إلى القاهرة ليتلقى العلم بالأزهر الشريف، وكان ذلك فى عام ١٩٠٢م فحضر دروسه إلا أنه أخذ يتبرم بنظامه، ولما افتتحت الجامعة المصرية القديمة عام ١٩٠٨ التحق بها وانتظم فى دروسها، فكانت بذلك مرحلة انتقال ذات أثر كبير فى حياته فاقبل يتلقى علوم العصر ومعارفه على مناهج وأساليب لم يعهدها فى أثناء دراسته بالأزهر، كما وجد فى الجامعة بيئة تعلى من شأن الفرد وتحترم قدرته على التفكير ، وتعينه على النقد وتدفعه إلى الابتكار، وتفتح أمامه أبواب البحث لكى يضيف إلى العلم جديدا وفيما يلى نعرض لذلك:

أولا: طه حسين طالبا بالجامعة المصرية:

إن علاقة طه حسين بالجامعة المصرية علاقة قديمة، وتاريخه معها تاريخ طويل بدأ منذ إنشائها، فعندما فتحت الجامعة الأهلية أبوابها عام ١٩٠٨ عرف طريقه إليها، وكانت مرحلة انتقال ذات أثر كبير فى حياته فقد انتظم فى دروسها وأقبل يتلقى علوم العصر ومعارفه على مناهج وأساليب لم يعهدها فى أثناء دراسته بالأزهر، فقد رأى فى الأزهر بيئة محافظة سلفية كادت تحيل العقول إلى اجهزة تعتمد على المحفوظ من المتون والحواشى دون إمعان الفكر بالتحليل والدراسة فى هذه المتون والحواشى فى حين وجد فى الجامعة بيئة تكبر من شأن الفرد وتحترم قدرته على التفكير، وتعينه على النقد والتقويم وتدفعه إلى الابتكار إذا كان من أصحاب الاستعداد له كما تفتح له أبواب البحث لكى يضيف إلى العلم جديدا.

سمع طه حسين فى الجامعة دروس أحمد زكى باشا فى الحضارة الاسلامية، ودروس أحمد كمال باشا فى الحضارة المصرية القديمة، ودروس اجناتسيو جويدى Lgnazio Guidi فى أدبيات الجغرافيا والتاريخ ودروس ليتمان Litmann فى تدريس اللغات السامية وخصوصا السريانية وأصول العبرية والحبشية كذلك درس له نلينو تاريخ الفلك عند العرب ثم تاريخ الأدب العربى، كما درس له سانتلانا تاريخ الفلسفة الاسلامية، وكان أثره عميقا على ثقافة طه حسين.

وكذلك حضر دروس الأستاذ ميلونى فى تاريخ الشرق القديم وخصوصا تاريخ بابل وآشور وسومر.

وقد بدأ طه حسين فى تعلم اللغة الفرنسية منذ عام ١٩٠٨ فلما آنس فى نفسه قدرة على متابعة الدروس التى تُلْقَى بها حضر دروس الأدب الفرنسى التى كان يلقيها الأستاذ لويس كليمان Louis Clement الذى كان

أستاذا فى جامعة ليل Lille وانتدب للتدريس فى الجامعة المصرية آنذاك ، واستمع إلى دروس الجغرافيا التى كان يلقيها اسماعيل رأفت.

ولما أعلنت الجامعة عن وجود بعثتين من بعثاتها إلى فرنسا احداهما لدراسة التاريخ والأخرى لدراسة الجغرافيا أرسل طه حسين إلى رئيس الجامعة خطابا يعلن فيه حرصه الشديد على أن يكون أحد الطالبين واختار دراسة التاريخ كما أعلن عن رغبته فى أن تجعل الجامعة مقياسها الكفاءة فى اختيار المبعوثين وأن يستثنى من شرط الحصول على الشهادة الثانوية على اساس انه درس بالجامعة وأحرز الدرجات العظمى فى كل العلوم التى امتحن فيها وهذا يقوم مقام الثانوية العامة ويزيد كما أوضح أن فقدان بصره لم يعقه عن سماع دروس الأساتذة.

ولما عُرِضَ خطاب طه حسين على مجلس إدارة الجامعة كان نصيبه الرفض على أساس أن صاحبه لا يحمل الشهادة الثانوية وأن إرساله إلى أوروبا سيكلف الجامعة نفقات إضافية، لأن الطالب الكفيف لابد أن يكون له رفيق يساعده على الذهاب إلى الجامعة ويقرأ له ما يحتاج إلى قراءته من الكتب وقد زاد رفض الجامعة لطلب طه حسين من إصراره، فرفع إلى رئيس الجامعة كتابا آخر ذكر فيه أنه لا يطلب من النفقات فى البعثة إلا المقدار الذى يطلبه غيره من الطلاب، وإذا كانت الطبيعة قد حالت بينه وبين نعيم الحياة – فحرمته من نعمة البصر – فما ينبغى أن تكون الجامعة عونا للطبيعة على حرمانه لذة الانتفاع بالعلم والنفع به.

ورفض مجلس الجامعة خطاب طه حسين الجديد كما رفض الأول بحجة أنه لا يعرف الفرنسية حق معرفتها، وأراد المجلس أن يخفف من لهجة الرفض فصاغه فى صيغة التأجيل حتى يحسن اللغة الفرنسية مطمئنا إلى أنه لن يجد إلى احسانها سبيلا، ولكن طه حسين ازداد تصميما وأخذ يدرس الفرنسية، ولما اتقنها كتب إلى رئيس الجامعة أنه وصل فى هذه اللغة إلى مقدار لا بأس به، كما أنه سيتقدم لامتحان العالمية فى قسم الآداب

فقبل مجلس الإدارة التحدى، واشترط لسفر طه حسين حصوله على العالمية (الدكتوراه) وفى تلك الأثناء لم يكن التقليد قد جرى على أن يعد الطالب رسالته تحت إشراف أستاذ لذلك أخذ طه حسين يتخير موضوعا للرسالة التى سيقدمها لنيل الدكتوراه من الجامعة، فحاول أن يدرس ما أحدثته الفارسية فى العربية من الأثر أيام بنى العباس، ولكن اللغة الفارسية حالت بينه وبين هذا الموضوع فعرج لدراسة الروح الدينى فيما ترك الخوارج من الآثار الأدبية، ولكن قلة هذه الآثار حالت بينه وبين القدرة على تصوير هذه الروح تصويرا واضحا فحاول أن يدرس ما حدث من اختلاف مذاهب الشعراء فى التعبير عن أغراضهم فى صدر الدولة العباسية، ولكنه أعرض عنه، وَعُرِضَ عليه أن يدرس حياة الجاحظ ولكنه لم يوفق إلى أكثر كتبه ، ولما عرض عليه دراسة حياة أبى العلاء رأى أن بينه وبين هذا الرجل تشابها فقد حرم كلاهما من نعمة البصر فأقبل على دراسته ، واستمع إلى قراءة ما كتب عنه من القدماء والمحدثين ومن العرب والفرنج، كما استمع إلى كتب أبى العلاء نفسه مثل اللزوميات، ورسالة الغفران وغيرهما وقد وصل إلى نتيجة طبيعية فى ذلك وهى فهم فلسفة أبى العلاء، وردها إلى مصادرها وفهم الروح الأدبية لهذا المفكر العربى، ووضعه فى مكانته الطبيعية بين الأدباء العرب بعد أن كانت آثاره الأدبية والفلسفية لا يعلم عنها الكثير كما تطرق طه حسين إلى دراسة أحوال الأمة العربية فى عصر أبى العلاء.

وقدم طه حسين بحثه إلى الجامعة بعد أن انتهى من كتابته فحددت له يوم الاثنين ٤ مايو ١٩١٤ موعدا لمناقشته وطبقا للائحة الجامعة اختار مجلس القسم موضوعين آخرين بخلاف الرسالة لامتحانه فيهما وهما:

١ - علم الجغرافيا عند العرب.

٢ - المقارنة بين الروح الدينية للخوارج فى أشعارهم وفى كتب المتكلمين.

وتألفت لجنة الامتحان من الأستاذ محمد الخضرى رئيسا والأستاذين اسماعيل رأفت بك والشيخ علام سلامة المنتدبين من نظارة المعارف وكان اجتماع اللجنة بهيئة علنية أمام جمهور كبير من الناس، واستمرت المناقشة حوالى ثلاث ساعات ذهب أكثرها فى جدال عنيف بين الشيخ المهدى وطه حسين.

وبعد مناقشة الشيخ طه حسين فى رسالته وفى الموضوعين اللذين اختارهما له مجلس القسم اجتمعت لجنة الامتحان للمداولة، وبالرغم من أن رأيها كان حسنا فى الطالب وكانت تريد أن تمنحه أحسن ألقابها فان الشيخ المهدى أصر على منح الرسالة تقدير جيدا جدا بدلا من فائق وقد نزلت اللجنة عند رأيه وقررت منح الطالب طه حسين درجة جيدا جدا فى الرسالة، ودرجة فائق فى الجغرافيا عند العرب، ودرجة فائق فى موضوع الروح الدينية للخوارج.

وكانت هذه الرسالة هى أول بحث قدم إلى الجامعة، وامتحن فيه صاحبه فى مناقشة علنية، وكان لذلك صدى كبير بين أوساط المصريين فأعلن علوى باشا عضو مجلس إدارة الجامعة عن تبرعه بجائزة قدرها عشرون جنيها لطه حسين الذى يعتبر أول طالب حصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية، كما تنبأت احدى الصحف فى تعليق لها على نجاح طه حسين بمستقبل كبير له.

والواضح أن ما كتبه طه حسين عن أبى العلاء يعتبر نقطة تحول كبير فى مناهج الدراسة الأدبية فى مصر فى العقد الثانى من القرن العشرين إذ درس ابا العلاء وآثاره وبيئته وعصره والمؤثرات التى أثرت فى أدبه وفلسفته دراسة يتضح منها سلامة الأحكام واتقان فهم النصوص وتحليلها، فقد اتخذ طه حسين فيه من شخصية أبى العلاء درسا لعصره واستنبط ما أحاط بحياته من مؤثرات.

وقد كان هذا البحث أول دراسة فى تاريخ الأدب العربى تستخدم فيها الدراسات الاجتماعية والنفسية استخداما واعيا لإضاءة الجوانب الفكرية مما يوضح لنا الفرق بين منهج الدراسة فى الجامعة ومنهج الدراسة فى الأزهر وقد أوضح طه حسين ذلك فى مقدمة بحثه فشرح منهج الأزهر فى دراسة الآداب العربية ممثلا فى الشيخ سيد بن على المرصفى مدرس الأدب فى الأزهر ومنهج الجامعة ممثلا فى بحثه.

ومنذ أن أخرج طه حسين رسالته عن حياة أبى العلاء المعرى بدأت متاعبه مع بعض الأزهريين، فقدم عبد الفتاح الجمل، وكان عضوا بالجمعية التشريعية عن بورسعيد باقتراح يطلب فيه أن تقطع الحكومة معونتها عن الجامعة لأنها أخرجت ملحدا، وكان سعد زغلول رئيس لجنة الاقتراحات فلما عرض عليه هذا الاقتراح دعا المقترح للقائه، وطلب إليه أن يعدل عن اقتراحه فلما أبى قال له أن أصررت على موقفك فإن هناك من سيقدم اقتراحا آخر يطلب فيه من الحكومة ان تقطع معونتها عن الأزهر لأن طه حسين تعلم فى الأزهر قبل أن يتعلم فى الجامعة فاضطر الرجل أن يسحب اقتراحه.

ولما كان مجلس إدارة الجامعة قد اشترط على طه حسين الحصول على الدكتوراه حتى يمكن ضمه إلى بعثة الجامعة المسافرة إلى أوروبا فقد كتب طه حسين إلى الجامعة يطالبها بتنفيذ وعدها، وإلحاقه ببعثتها ، وقد وافقت الجامعة على ضمه إلى بعثتها وإيفاده إلى مونبليه لدراسة العلوم التاريخية وحددت الأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٤ كموعد لسفره.

واستعد طه حسين للسفر، ولكن اعلان الحرب العالمية الأولى جعل الجامعة تسترد طلابها من أوروبا، وتوقف إرسال البعثة الجديدة، فأراد طه حسين أن يشغل نفسه بما يفيد الجامعة فطلب من رئيسها أن يقوم بتدريس آداب اللغة العربية فى الجامعة بغير أجر حتى تنتهى الحرب، ولما عرض الأمر على مجلس إدارة الجامعة وافق عليه بشرط أن يتقاضى الدكتور طه

أجرا عن قيامه بالتدريس. ولم تمض فترة حتى دعت الجامعة الدكتور طه حسين للسفر فسافر إلى مونبليه ، والتحق بجامعتها وعكف على إتقان اللغة الفرنسية وحضور دروس فى الأدب الفرنسى والتاريخ الحديث فضلا عن دروس العلامة فوكو فى علم النفس، وفى مونبليه أيضا تعرف طه حسين على الفتاة التى قدر لها أن تصبح زوجته فيما بعد.

واظب طه حسين على دراسته فى مونبليه نحو عام ثم عاد فى نهايته إلى مصر مع من عادوا من مبعوثى الجامعة نظرا لتدهور أحوال الجامعة المالية. وبعد عودته سعى لكى يعين مدرسا لتاريخ آداب اللغة العربية فى الجامعة، وكان الشيخ محمد المهدى يدرس هذه المادة، وكادت مساعى طه حسين أن يقدر لها النجاح لولا أن الشيخ المهدى تطوع لتدريس هذه المادة بالمجان ففضلت الجامعة التى كانت تمر بأزمة مالية عرض الشيخ المهدى.

وواظب طه حسين على حضور بعض الدروس التى كانت تلقى فى الجامعة وما أن استمع إلى درس الأستاذ المهدى عن الأدب الأندلسى حتى انتقده نقدا عنيفا ، وقارن بين هذا الدرس وما رآه فى فرنسا على صفحات جريدة السفور، ولم تكن المقارنة مرضية للشيخ المهدى، فدارت معركة أدبية بينه وبين أستاذه معركة لا تقبل فى قول الحق لومة صديق أو ترعى قدسية أستاذ فذكر طه حسين أن الدرس الذى سمعه كان أشبه بمعرض الصور المتحركة تمر فيه ظلال الشعراء فلا يعرف السامع منه أكثر من أسماء الشعراء فقط، كما أن الأستاذ ينسب شعر ابن هانئ لابن خفاجة ثم يعتذر إذا أنكر عليه أحد الطلبة ذلك، كما ذكر بأن هذا الدرس لا يدل على أنه درس جامعى وإنما هو نوع من الحديث البديهى الارتجالى الذى يستفز سامعيه بما يعرض فيه من الغزل والوصف ثم حمل على أسلوب التدريس فى الجامعة بوجه عام وتساءل عن جدواه.

ولم يكد يقرأ الأستاذ المهدى ما كتبه عنه طه حسين حتى تملكه سخط شديد، وحدثت أزمة نشرت الصحف أنباءها أياما متوالية ، وقد اعتبرت بعض الصحف أن نقد طه حسين لأستاذه نقدا علميا خالصا تناول علم الأستاذ مباشرة، وهذا من حقه لأن مبدأ التستر على الخطا العلمى مبدأ شديد الخطر على الحياة الأدبية للأمم.

وكتب الشيخ المهدى إلى مجلس إدارة الجامعة يشكو طه حسين، ويذكر أن انتقاد أحد تلاميذه له على هذا النحو يعتبر إهانة له لذلك فهو يطلب من مجلس الإدارة توقيع عقاب شديد على الدكتور طه حسين الذى ارتكب هذا الجرم الشنيع بأن يشطب اسمه من قائمة خريجى الجامعة الذين يتعلمون على نفقتها فى فرنسا، وكاد يتحقق طلبه، وقد أوضح طه حسين ذلك بقوله: " كان من الممكن جدا أن يوفق الأستاذ فى حرمانى هذه العودة، وأذكر أن المرحوم علوى باشا دعانى ذات صباح إلى الجامعة فذهبت ، فلما دخلت عليه استقبلنى استقبالا سيئا جدا، وكان شديد الحب لى والعطف على وقال ماذا كتبت عن أستاذك الشيخ مهدى، قلت كتبت رأيى فى درس من دروسه ، قال فى عنف ولكنك تجاوزت مع أستاذك حد الأدب، اذهب واعتذر إليه وإلا فان الجامعة لن ترضى منك هذا، وستكون عاقبة هذا الموقف سيئة جدا، أجبته ما كنت لاعتذر عن رأى آراه وانصرفت مغاضبا".

انتقدت احدى الصحف طلب الشيخ المهدى، وطلبت منه عدم المبالغة والتهويل فى ذلك الأمر الذى يمكن ان يتجنب الوقوع فيه إذا ما ازداد اهتماما بتحضير دروسه.

وقد أثارت هذه المسألة ضجة كبيرة فى الصحف، ووضعت أساسا للنزاع بين المحافظين والمجددين فقد أعطى الشيخ المهدى المثال الكامل عن الأدباء الذين تعلموا فى الأزهر وامتلأت عقولهم بما حوته الكتب العربية القديمة ومهما بلغ من تقدم هؤلاء الأدباء فى العلم فإنهم يتميزون

بنقص كبير فى التحليل والطرافة العلمية والتمسك الشديد بالتقاليد الأزهرية الموروثة والتى أصبحت لا تناسب العصر. أما الدكتور طه حسين فهو محب للتقدم له فكر واسع ، ولا يطيق مثل طريقة الشيخ محمد المهدى فى التدريس، فقد كانت دراسته بأوروبا واستعداده النفسى وما كان مهيئا بداخله من بذور العناد والثورة هى العوامل الحقيقية فى وقوفه أمام الشيخ المهدى وأضرابه من الأزهريين.

وذكرت احدى الصحف أن من الواجب تقوية روح النقد فى نفوس المصريين لأن هذه الطريقة هى الوحيدة التى يمكن أن تؤدى إلى نشر العلم الصحيح بين الناس.

وجرت محاولات للتوفيق بين الطرفين فطلب علوى باشا إلى الأستاذ على بهجت سكرتير مجلس الجامعة وقتئذ أن يجمع بين طه حسين والشيخ المهدى ويجتهد فى الاصلاح بينهما، وقد تم الاجتماع فى دار الآثار العربية، واعتذر طه حسين إلى الشيخ المهدى عما رآه الشيخ ماسا بكرامته، وانتهت المسألة عند ذلك، فاجتمع مجلس الجامعة وأقر الصلح، ونشر سكرتير مجلس الجامعة بيانا فى الصحف قال فيه: " اجتمع لدى الأستاذ الشيخ محمد المهدى والدكتور طه حسين وتكلما فى شأن ما نشر بجريدة السفور.. وتفاهما تفاهما حسنا، وأعتذر الشيخ طه حسين إلى الأستاذ الشيخ المهدى عما رآه الشيخ المهدى ماسا بكرامته".

ويلاحظ من هذا البيان أن طه حسين لم يعتذر عن رأيه العلمى ولم يتنازل عنه أو يتراجع ، وإنما أعتذر فقط " عما رآه الشيخ المهدى ماسا بكرامته".

وزاد لطفى السيد فى ترضية الشيخ المهدى فحضر مع طه حسين وآخر من أساتذة الجامعة درسا من دروس الشيخ المهدى فلما انتهى وقف لطفى السيد ووجه الشكر للأستاذ.

ومن وجهة نظرنا فإنه كان من المنتظر من الشيخ المهدى أن يرد على نقد طه حسين ردا علميا وأن يبرهن على موقفه ويدافع عن وجهة نظره فى شرح درسه، ولكن الواضح أنه أحس بأن قدرة الدكتور طه حسين العلمية كفيلة بتفنيد ودحض آرائه بما يزيد فى حرج مركزه العلمى بين أواسط المثقفين وبوجه خاص بين رجال الجامعة فآثر الشيخ المهدى عندئذ الخروج بالخلاف من الإطار العلمى إلى الناحية الشخصية والواقع أن ما درسه طه حسين فى مونبليه رسم فى ذهنه صورة مثالية لشموخ الدراسات الجامعية مما دفعه إلى نقد أستاذه.

وظل طه حسين يتردد على الجامعة المصرية فى انتظار العودة إلى فرنسا، ولما انفرجت أزمة الجامعة المالية بعد أن دفعت وزارة الأوقاف باقى الإعانة المقررة للجامعة قررت الجامعة إعادة طلبتها إلى اوروبا وطلبت من طه حسين الاستعداد والتأهب هو وزملاؤه أعضاء البعثة لمقابلة السلطان حسين كامل قبل السفر، وبعد أن تم اللقاء منح السلطان كلا منهم مبلغ خمسين جنيها وسافر طه حسين إلى فرنسا فى ديسمبر ١٩١٥ ولكنه لم يذهب هذه المرة إلى مونبليه بل قصد باريس، والتحق بكلية الآداب بجامعتها، وأخذ على نفسه وعدا بأن تكون حياته فى أوروبا مثالا صالحا لما يجب أن يكون عليه المصرى فى الغرب من الحياة الصادقة المملوءة بالجد والعمل.

وقد استقامت للدكتور طه حسين دروسه فى السربون فدرس ما يتصل بمصادر الحضارة الأوروبية كالتاريخ اليونانى والرومانى فضلا عن التاريخ الحديث كما درس علم الاجتماع على يد البروفسور ايميل دوركايم Durkheim ولما أحس بأن اساتذته فى السربون سيكلفونه باعداد أبحاث اختار لنفسه أستاذا من أساتذة المدارس الثانوية ليعلمه اللغة الفرنسية تعليما منظما حتى يجيدها ويحيط بأسرارها اللغوية.

ولقد أحس طه حسين بأن عليه مهمة يجب أن تتم فهو مسئول أمام جامعة فى مصر تنتظر منه الحصول على أعلى الشهادات، فأزمع أن يظفر قبل كل شئ بدرجة الليسانس، ثم يتقدم لدرجة الدكتوراه ودبلوم الدراسات العليا بعد ذلك، ولم يكن الطلاب المصريون فى ذلك الوقت يحاولون الظفر بدرجة الليسانس هذه لأنها كانت تكلف الذين يطلبونها عناء ثقيلا، فكانت تكلفهم إتقان الفرنسية واللاتينية، واستطاع طه حسين أن يظفر بالليسانس عام ١٩١٧ بتشجيع ومساعدة زوجته سوزان له ، وكان قد اقترن بها فى ٩ أغسطس ١٩١٧.

وقد أبلغ طه حسين الجامعة المصرية بحصوله على الليسانس فبرقت إليه تهنئة وأرسلت إليه مكافأة قدرها عشرون جنيها.

ثم أعد طه حسين رسالته للدكتوراه عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وعنوانها " دراسة تحليلية نقدية عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون".

Etude analytique et critique de la philosophie sociale d'ldn khaldoun, Paris, ١٩١٧. (These des Lettres de & Universite de Paris).

وكانت هذه الرسالة تحت إشراف كل من دور كايم والمستشرق كازانوفا ومع أن طه حسين كان موفدا من قبل الجامعة المصرية إلى فرنسا لدراسة العلوم التاريخية فان الموضوع الذى أختاره أقرب إلى علم الاجتماع منه إلى علم التاريخ، ويذكر طه حسين فى أسباب اختياره لهذا الموضوع أن تاريخ آداب اللغة العربية منذ عصر الجاهلية إلى العصر الحاضر يذكر لنا رجلين يمتاز كل منهما بابتكار خارق لم يتصف به أحد من المسلمين، أولهما أبو العلاء المعرى والآخر ابن خلدون ولما كان طه حسين قد درس حياة أبى العلاء ومؤلفاته فى الرسالة التى قدمها إلى الجامعة المصرية عام ١٩١٤ فقد رأى أن يدرس ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية فى الرسالة التى سيقدمها إلى السربون وشجعه على ذلك أن الأستاذ كازانوفا المشرف على رسالته كان مولعا بالدراسات التى تتناول سيرة ابن خلدون.

أخذ طه حسين يقرأ المصادر العربية والفرنسية كما ترجمت له نصوص أخرى من لغات أوروبية مختلفة ، ومده المسيو كازانوفا بثبت من المراجع التى تخص الموضوع، كما أعاره بعض الكتب التى كان فى حاجة إليها، وبعد عامين من الدراسة والبحث أخذ طه حسين فى إملاء رسالته ثم عرضها على الأستاذ كازانوفا لمراجعتها، ولما قرأها أذنت له السربون فى طبعها توطئة لمناقشتها.

ولما كان نظام مناقشة الدكتوراه فى فرنسا يشبه النظام الذى كان معمولا به فى مصر آنذاك، والذى يقضى بامتحان الطالب فى موضوعين - سبق تحديدهما له - قبل مناقشة الرسالة فقد امتحن طه حسين فى موضوعين هما:

١ - "علم الاجتماع كما يتصوره أوجست كونت".

٢ - "القضايا التى رفعت على حكام الأقاليم كما يصورها بلينوس الشاب فى رسائله".

كما نوقش طه حسين فى الرسالة المقدمة منه فى يناير ١٩١٨. وانتهت لجنه الممتحنين إلى قرار بترشيح طه حسين لدرجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة ومع تهنئة اللجنة.

وقد حفز ذلك النجاح الباهر الدكتور طه حسين إلى الحصول على دبلوم الدراسات العليا قبل العودة إلى مصر، وتحقق له ذلك فى يونيو ١٩١٩.

وهكذا كانت المسيرة العلمية لطه حسين الفتى الذى جاء من أعماق صعيد مصر وانضم إلى أعرق جامعة فى أوروبا وهى جامعة السربون، وحصل منها على أعلى الشهادات العلمية وهى شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة مثالا للمثابرة والعزيمة القوية والإصرار على تخطى الصعاب التى واجهته ولما عاد الدكتور طه حسين إلى مصر عين أستاذا بالجامعة المصرية.

ثانيا: الدكتور طه حسين أستاذا فى الجامعة المصرية:

عاد طه حسين إلى مصر فى نوفمبر ١٩١٩ بعد حصوله على الدكتوراه فى الآداب من قسم التاريخ بجامعة السربون، وعهد إليه بتدريس مادة التاريخ القديم ابتداء من السنة الدراسية التالية، وكان التاريخ اليونانى والرومانى هو الموضوع الذى اختاره طه حسين لتدريسه فى الجامعة، وقد تضمن المقرر:

١ – تاريخ اليونان فى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد.

٢ – أصول الجمهورية الرومانية.

٣ – الجهاد بين روما والعالم اليونانى.

٤ – محاضرات تمرينية يؤديها الطلبة فى موضوعات تمس التاريخ القديم.

وعندما بدأ الدكتور طه حسين أولى محاضراته بالجامعة قدمه عبد الخالق ثروت باشا للجمهور حيث شرح لهم نبذة عن حياة الدكتور طه حسين، وأوضح لهم أن الجامعة اختارته للسفر إلى فرنسا بعد أن توسمت فيه النجابة والذكاء، وأنه رغم تخصصه فى علم التاريخ لم يقصر دراسته عليه، بل جمع إلى جانب ذلك دراسة علم الاجتماع.

وقد استأثرت الثقافة اليونانية بالجانب الأكبر من إنتاج طه حسين فى الفترة من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٥ فكتب " صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان" عام ١٩٢٠ و "نظام الأتينيين" عام ١٩٢١ و "قادة الفكر" عام ١٩٢٥ وظل ينشر فى صحيفة الجامعة المصرية ما كان يلقيه على الطلاب من دروس التاريخ القديم.

ويتضح من استعراض هذه الكتب أن طه حسين لم يتناول الفكر اليونانى كأديب فحسب، ولكنه تناوله كأديب يغلب عليه طابع المفكر، ومن هنا لم يكن مصادفة أن جاءت الكتب الثلاثة التى ألفها عن الفكر اليونانى مقسمة إلى ثلاثة أقسام الأدب والسياسة وتاريخ الحضارة، وبينما كان الكتاب الأول محاولة لعرض أعمال الشعراء التمثيليين اليونان فقد كان

"نظام الاثينيين" يوضح مفهوما لنشأة الديمقراطية، وكان نشره فى هذه الفترة تجسيدا للمرحلة الدستورية التى كانت تمر فيها مصر فى ذلك الوقت، وقد صرح بذلك فى قوله" والكتاب كما هو أحسن صورة موجودة تمثل الحياة السياسية اليونانية،وهو مع ذلك صورة حية لنشأة الديمقراطية".

أما كتاب "قادة الفكر" فهو يعبر عن فكرة متكاملة عن تاريخ الحضارة فقد ترجم طه حسين لهوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو والاسكندر ويوليوس قيصر من أجل أن يوضح أن القائد هو وقبل كل شئ ممثل لعصره وبيئته.

وبالإضافة إلى ذلك الجهد فى فكر اليونان وأدبها فقد اشترك فى مناقشة احدى رسائل الدكتوراه التى قررت الجامعة مناقشتها فى ٦ مايو ١٩٢١ وعنوانها " عمرو بن العاص".

استمر طه حسين يزاول نشاطه العلمى حتى تعقدت الأمور بينه وبين الجامعة لحاجته إلى رفيق يصحبه ويقرأ له ولا سبيل إلى أن يقطع أجر هذا الرفيق من مرتبه وكان ثلاثة وثلاثون جنيها ، فطلب إلى الجامعة أن تزيد من مرتبه ما يعينه على سداد أجر ذلك الرفيق، ولكن الجامعة رفضت طلبه فقدم استقالته متضمنة فى لهجة شديدة غضب لها مجلس الإدارة أشد الغضب، وكاد يقبل استقالته على أن يرد للجامعة ما أنفقت عليه أثناء إقامته فى فرنسا طبقا للائحة التى تنص على أنه "إذا نكث المبعوث عهده فى القيام بخدمة الجامعة وجب عليه أنَ يدفع لها كل ما صرفته عليه" ولما سمع الدكتور طه حسين بذلك اعتذر للجامعة، واضطر إلى أن يسترد استقالته ، واقتطع من مرتبه أجر ذلك الرفيق الذى كان يقرأ له ويغدو معه ويروح.

وبعد انضمام الجامعة الأهلية إلى وزارة المعارف عين الدكتور طه حسين أستاذا لأداب اللغة العربية بكلية الآداب حسب العقد المبرم بين إدارة الجامعة القديمة ووزارة المعارف، ومضى طه حسين يلقى على طلابه

محاضرات فى الأدب الجاهلى بأسلوب جديد لم يكن معروفا فى مصر من قبل، وهو أسلوب يذهب إلى تغيير التفكير المصرى ويقوم على اساس تطوير ثقافة المجتمع من الشكل التقليدى إلى شكل حديث قوام منهجه هو الشك من أجل الوصول إلى الحقيقة ، وقد أوضح طه حسين منهجه بقوله: "شككت فى قيمة الأدب الجاهلى، وألححت فى الشك.. فأخذت أبحث وافكر وأقرأ وأتدبر حتى انتهى بى هذا كله إلى شئ إن لم يكن يقينيا فهو قريب من اليقين. ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من عصر الجاهلية، وإنما نشأت بعد ظهور الإسلام، فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين، وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين. وأنا أقدر النتائج الخطيرة لهذه النظرية ولكنى مع ذلك لا أتردد فى إثباتها وإذاعتها" كما ذكر أنه يجب أن ننسى عواطفنا الدينية والقومية، ولا نذعن لشئ إلا لمنهج البحث العلمى الصحيح.

ومن النتائج التى توصل إليها الدكتور طه حسين فى دراسته للأدب العربى، "أن الشعر الذى ينسب إلى امرئ القيس أو إلى الأعشى أو إلى غيرهما من الشعراء الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية ان يكون لهؤلاء الشعراء، ولا أن يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر القرآن.

ولقد استقى الدكتور طه حسين أكثر مادته عن هذا الموضوع من أخبار وروايات العرب القدماء، ونهج منهج المستشرق الانجليزى مرجليوث فى الاستنباط والاستنتاج والتوسع فى دلالات الروايات والأخبار وتعميم الحكم الفردى الخاص واتخاذه قاعدة عامة.

ولما انتهى طه حسين من إلقاء محاضراته بالجامعة طبعها فى كتاب بعنوان " فى الشعر الجاهلى" فلما قرأه الناس وجدوا فيه رأياً جديداً هز معتقداتهم الثابتة وأفكارهم فقد برهن طه حسين على أن الشعر الجاهلى لا يصور حياة الجاهليين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية ولا يصور لغتهم ولهجاتهم المختلفة كما أنه تطرق إلى النواحى الدينية فشكك فى

وجود سيدنا ابراهيم واسماعيل تاريخيا، وفى أنهما بنيا الكعبة ، وأنكر مـا تعارف عليه الناس من أن القراءات السَّبْع جاءت بعد النبى (ص) كما أنكر أن الاسلام كان دين ابراهيم وانه وجد قبل ظهور سيدنا محمد كان تحـدث عن المسيحية واليهودية وأنكر انتشارهما فى البلاد العربية لأنه لم يكـون لهما أثر ظاهر فى الشعر العربى قبيل الاسلام.

وقد أثارت مناقشات الدكتور طه حسين للعامل الدينى ثائرة المحافظين وذلك لتغلغل الشعور الدينى لديهم، وكما هو الحال فى طبيعة مثل هذه المسائل فقد انقسمت الآراء حيال هذا الفكر الجديد بين معارض ومؤيد فاتهمه البعض بالكفر والضلال فى حين ذهبت طائفة أخرى أن ذلك خطأ فى الفكر وإسراف فى حرية الرأى اما المؤيدون لرأى الدكتور طه حسين فقد أعجبهم وضوح أدلته فذكرت المقتطف "أن أدلته منطقية جلية تحمل قارئها على التسليم بصحة نتيجتها أو على الاعتراف بقوتها ، وقد جرى فيه طه حسين على أسلوب محكم من البحث العلمى الصحيح الذى لابد منه إذا أردنا الوصول إلي الحقائق".

وتعد معركة "فى الشعر الجاهلى" من أعنف المعارك الأدبية فى التاريخ المصرى الحديث فقد استمرت على أعمدة الصحف أكثر من ثلاثة شهور متوالية ثم تجددت بعد ذلك مرات ومرات لدوافع حزبية ، وكان لرجال الدين منها موقف، ولمجلس النواب موقف، ولكل من الوزارة والجامعة موقف.

ويبدو أن ظهور كتاب الدكتور طه بعد أن نشر على عبد الرازق كتابه " الإسلام وأصول الحكم " بفترة وجيزة قد أثار ثائرة المحافظين على القديم ضد هؤلاء المجددين الذين تأثروا بدرجة كبيرة بالفكر الغربى.

لقد واجه طه حسين المعركة من أطراف مختلفة لكل منها موقفها ومنطقها فرجال الدين تناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والنقض فقام الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة الإسلامية بتأليف كتاب يتضمن تفنيد ما

ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب فى الجامعة المصرية تحت عنوان مثير للمشاعر الدينية وهو " نقض مطاعن فى القرآن الكريم" هاجم فيه الدكتور طه حسين واتهمه بالطعن فى الرسول والقرآن الكريم كما أوضح فى مقال له بمجلة المنار أن منهج الدكتور طه حسين فى البحث هو من ضلالات العقول ومغالطات الوهم، وأن الدكتور طه إذا أراد أن يقنع الأمة بكتابه فعليه أولا أن يبدأ بإلغاء عقولها لأن مؤلفه كتاب فى المغالطات.

وحملت مجلة المنار حملة ضارية على الدكتور طه حسين فذكرت أنه أخذ على عاتقه محاربة الدين الاسلامى والأمة الإسلامية بالطعن فيهما، وصرف الناس عنهما إلى الزندقة والإباحية واستشهدت على ذلك بمصنفاته من "ذكرى أبى العلاء" إلى " فى الشعر الجاهلى" وبمقالاته التى نشرها فى جريدة السياسة تحت عنوان " حديث الأربعاء" إلى مقاله " العلم والدين" واتهمته بأنه يعمد إلى الباطل كالخرافات، وأنه يشكك فى المسائل الثابتة بضروب من المغالطة والسفسطة".

وقام الشيخ محمد الخضر حسين بتأليف كتاب تحت عنوان "نقض كتاب فى الشعر الجاهلى" أوضح فيه أن الباطل ما برح يحارب الحقيقة الإسلامية، ولكنه رجع خائبا بغير جدوى.

وأخذ مصطفى صادق الرافعى يستعدى الحكومة والقانون وعلماء الدين على الدكتور طه حسين طالبا منهم ان يأخذوا على يده ويمنعوه حتى لا تشيع بدعته فى طلاب الجامعة كما اتهم طه حسين بالحماقة والشراسة والكفر، وبأن دروسه فى الشعر الجاهلى تعتبر كفرا بالله وسخرية بالناس فقد كذب الأديان وسفه التواريخ ، وأنه " مجموعة أخلاق مضطربة وأفكار متضاربة وطباع زائفة". وناشد الجامعة أن تحمى طلبتها منه، وأن ينهض العلماء فى إلزام الجامعة بأن تعلن براءتها من آراء الدكتور طه حسين.

وقد وقفت الدوافع السياسية إلى جانب الرافعى تؤيده وتشد أزره فمضى فى حملته تسانده كافة القوى، وتشد أزره معظم السلطات وتناول كتاب آخرون كتاب " فى الشعر الجاهلى " على صفحات الجرائد وتعاونت وجهات نظرهم ، وقد جمعت ردود هؤلاء الكتاب على الدكتور طه حسين وكتاباته ونشرت هذه الردود فى عدة كتب منها " الشهاب الراصد" لمحمد لطفى جمعه الذى تمسك بتقاليد الاتجاه السلفى، ووصف كتاب " فى الشعر الجاهلى" بأنه بعض أكاذيب وأساطير وشئ من التهويل ومنها " نقد كتاب فى الشعر الجاهلى" لمحمد فريد وجدى الذى اتهم الدكتور طه حسين بالخروج على الجماعة وتجاهل قوميته ودينه وأيضا " محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى" للشيخ محمد الخضرى.

وقد ظلت الثورة قائمة على الدكتور طه حسين فهاجم محمد أحمد الغمراوى فى كتابه " النقد التحليلى لكتاب فى الشعر الجاهلى" رأى الدكتور طه حسين بأن نسيان القومية والدين شرط أساسى من شروط البحث العلمى، وأعلن مصطفى صادق الرافعى أن أقبح ما فى كتاب طه حسين إعلانه فى مقدمة كتابه تجرده من دينه عند البحث.

ومما أخذه بعض هؤلاء النقاد على طه حسين أنه لم يبرز أفكارا جديدة بل "أغار على كتب عربية وأخرى غربية فالتقط منها آراء وأقوالا، نظمها فى خيط من الشك والتخيل" وأنه لم يعن بالبحث عناية الذين ألموا به من القدماء والمحدثين بل أخذ بعض أفكارهم وابتكاراتهم، كما أنه " أخذ من مرجليوث شيئا كثيرا".

والواقع أن هذه المعركة لم تكن مجرد معركة حول كتاب فى الشعر الجاهلى بقدر ما كانت معركة بين القديم والجديد فقد هزت المعاهد العلمية، والصحف الأدبية والنواحى الثقافية فى مصر والشرق العربى هزا عنيفا

جعلها تستيقظ من سباتها الطويل الذى ركنت إليه، وجعلها تحاول أن تجد لنفسها مكانا فى هذا الصراع.

كلف شيخ الجامع الأزهر لجنة من العلماء بالنظر فى كتاب " فى الشعر الجاهلى" ووضع تقرير عنه فقامت اللجنة بفحص الكتاب وكتبت تقريرا ذكرت فيه ان الكتاب يقع فى ١٨٣ صفحة، وأن صاحبه أنكر فيه الشعر الجاهلى، وذكر أنه منتحل بعد الإسلام لأسباب زعمها، كما ذكرت أن المؤلف بنى حديثه على التجرد من كل شئ حتى من دينه وقوميته عملا بمذهب ديكارت الفرنسى، وأن الكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين ، وأنه دعامة من دعائم الكفر، ومعول لهدم الأديان فقد أنكر المؤلف هجرة سيدنا ابراهيم مع ولده إسماعيل ، وقال إن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى.

ورأت اللجنة ضرورة مكافحة هذه الروح الإلحادية فى التعليم واقتلاع هذا الشر من أصله، وطالبت شيخ الأزهر والحكومة بوضع حد لهذا الإلحاد، كما طالبت الجامعة بمصادرة كتاب " فى الشعر الجاهلى" وإبعاد الدكتور طه حسين عن الجامعة وتقديمه للمحاكمة، ونظرا لخطورة الموقف اجتمع مجلس الجامعة فى ١٦ مايو ١٩٢٦ لمناقشة التقرير المقدم من علماء الأزهر، ثم أصدر القرار الآتى: " أن مجلس الجامعة يكل لسعادة المدير تسوية مسألة الدكتور طه حسين مع السلطات المختصة على أن يراعى فى ذلك المبادئ الأساسية للتعليم الجامعى والشرف العلمى لهيئة موظفى التدريس بالجامعة".

وأحس الدكتور طه حسين بخطورة الموقف فقد كان اتهامه فى فكره أقل خطورة من اتهامه فى دينه، وخاصة إذا كان هذا الاتهام موجها إليه من أعلى سلطة دينية فى البلاد لذلك أرسل إلى مدير الجامعة خطابا بتاريخ ٢٧ مايو أعلن فيه أنه حرصا منه على حل المشكلة التى آثارها كتابه "فى

الشعر الجاهلى" فانه يعرض عليه وضع النسخ الباقية من هذا الكتاب تحت تصرف الجامعة وقد وافق رئيس الجامعة على عرض الدكتور طه حسين وتسلمت الجامعة النسخ وعددها ٧٨٧ نسخة على سبيل الشراء بمقتضى فاتورة بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٢٦ بمبلغ مئة جنيه كما اشترت الجامعة أيضا من مكتبة الهلال ٣٤ نسخة كانت باقية لديها، ووضعت جميع النسخ فى صناديق ختمت بالشمع الأحمر، وحفظت فى مخازن الجامعة، واتخذت الإجراءات اللازمة لمنع طبع نسخ أخرى منه مستقبلا.

وبالإضافة إلى ذلك فقد نشرت الجامعة بيانا فى الصحف ذكرت فيه أن الدكتور طه حسين قدم لمدير الجامعة خطابا يثبت فيه إسلامه وينفى تعمده إهانة الدين والخروج عليه ولتهدئة الموقف قدم الدكتور طه حسين استقالته من الجامعة، ولكن الجامعة رفضت قبولها.

ورغم بيان الجامعة الذى أكد أن الدكتور طه حسين قدم خطابا يثبت فيه اسلامه وينفى تعمده إهانة الدين إلا أن الرأى العام كان لا يزال ثائرا مهتاجا حتى أن الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالى بالأزهر تقدم ببلاغ إلى النائب العمومى فى ٣٠ مايو ١٩٢٦ يتهم فيه الدكتور طه حسين بأنه ألف كتابا فيه طعن صريح فى القرآن الكريم كما أرسل شيخ الجامع الأزهر إلى النائب العمومى خطابا بتاريخ ٥ يونيو ١٩٢٦ يبلغه فيه بالتقرير الذى رفعه علماء الأزهر عن الكتاب الذى ألفه الدكتور طه حسين تحت عنوان " فى الشعر الجاهلى" وكذب فيه القرآن صراحة ، وطعن فيه على الأنبياء، وأتى فيه بما يدعو للفوضى ويطلب اتخاذ الوسائل القانونية ضد الدكتور طه حسين وتقديمه للمحاكمة.

وصَعَّدَ بعض رجال الدين الموقف فأرسلوا تلغرافات إلى الملك فؤاد يستصرخونه طالبين مصادرة كتاب " فى الشعر الجاهلى" وإبعاد طه حسين عن الجامعة لأنه تجرأ على الدين، وكذب ما نطق به القرآن الكريم من بناء ابراهيم واسماعيل للبيت الحرام ودعواه بأن ذلك أسطورة اختلقت فى

الجاهلية وأقرها الرسول لأسباب سياسية كما ذهب وفد منهم إلى قصر عابدين يتقدمهم شيخ الجامع الأزهر للاحتجاج على هذا الكتاب.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد أثير الموضوع فى مجلس النواب واشتد وطيس المناقشة، وانتشر بين النواب روح التذمر والاستياء وراجت الشائعات عن إلغاء قانون الجامعة، وترك كل مدرسة عالية أو كلية مستقلة، وتردد الأستاذ لطفى السيد مدير الجامعة على سعد زغلول لرأب الصدع ، ولكن عبد الحميد البنان أحد أعضاء المجلس آثار الموضوع مبينا أن كتاب فى الشعر الجاهلى تضمن " طعنا ذريعا على الموسوية الكريمة والعيسوية الرحيمة وعلى الاسلام دين الدولة بنص الدستور".

كما أوضح عضو آخر أن تصرف الدكتور طه حسين كان مخالفا للذوق لأنه مدرس بالجامعة المصرية ، وهى معهد أميرى يعيش على أموال الحكومة الممثلة للأمة، ويتقاضى مرتبه من هذه الهيئة التى دينها الإسلام، ومع ذلك يطعن فى دينها، كما ندد بشراء الجامعة للكتاب لأن مال الأمة لا يجوز أن يدفع أجرا أو مكافأة على الإساءة إلى الأمة.

وقد رد وزير المعارف على الاستجواب بأنه وان كانت الوزارة تطمع فى أن تكون الجامعة معهدا طلقا للبحث العلمى الصحيح فإنها لا ترضى بأن تكون كراسى الأساتذة منابر تلقى فيها المطاعن على أى دين من الأديان.

وبعد مناقشات الأعضاء اقترح العضو عبد الحميد البنان على المجلس تكليف الحكومة بما يأتى:

١ – مصادرة واعدام كتاب طه حسين المسمى " فى الشعر الجاهلى".

٢ – تكليف النيابة العمومية برفع الدعوى على طه حسين مؤلف الكتاب لطعنه فى الدين الاسلامى دين الدولة.

٣ - الغاء وظيفته من الجامعة.

وقد وافق أغلبية الأعضاء على الاقتراح . واتفقوا على ضرورة معاقبة الدكتور طه حسين الذى أهان الشرائع السماوية والأنبياء وإعدام الكتاب.

والواقع أن النقاش البرلمانى فى تلك الجلسة كان مثيرا وصاخبا تجلت فيه وبشكل واضح مقدرة سعد زغلول على إدارة دفة المناقشة فى الاتجاه الذى يتفق مع رغباته فقد أظهر تحيزه ضد طه حسين لاعتقاده فى عدم صحة ما وصل إليه المؤلف من نتائج، ودارت بينه وبين رئيس الوزراء مناقشة حادة فى هذا الموضوع، مما يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب ذلك وكيف تغير موقف سعد زغلول المتعاطف مع طه حسين عام ١٩١٤ إلى النقيض.

الواقع أن مواقف طه حسين لم تكن دائما تريح سعد زغلول فحين أحيا جماعة من تلاميذ الشيخ محمد عبده ذكرى وفاة أستاذهم فى الجامعة خطب طه حسين فى ذلك الحفل، وذكر بأن مصر مدينة بما أتيح لها من اليقظة لثلاثة رجال أولهم الأستاذ الامام الذى أحيا الحرية العقلية والثانى مصطفى كامل الذى أذكى جذوة الحرية السياسية، والثالث قاسم أمين الذى أحيا الحرية الاجتماعية، ولما قرأ سعد هذا الحديث تضايق لأن طه حسين لم يذكره بين هؤلاء العظماء يضاف إلى ذلك أنه لما حدث خلاف بين وزارة عدلى والوفد حول من يمثل مصر فى المفاوضات الوزارة أم الوفد هاجم طه حسين الوفديين "وكان أطول الكتاب لسانا وأجرأهم قلما فى مهاجمة سعد ونقد سياسته" ولما أخفقت المفاوضات ، وعاد عدلى إلى مصر كان طه حسين من ضمن المستقبلين لعدلى فى محطة القاهرة وهو يصبح فى الصائحين " عاش عدلى باشا".

لذاك عندما أثيرت قضية " فى الشعر الجاهلى" أمام مجلس النواب كانت فرصة سانحة لسعد زغلول لينفث عما يجيش فى صدره تجاه طه

حسين بل وصل به الأمر أن خطب فى احدى المظاهرات التى قامت تطالب برأس طه حسين بسبب كتابه " ان مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها هبوا أن رجلا مجنونا يهذى فى الطريق فهل يضير العقلاء شئ من ذاك؟ أن الدين متين، وليس الذى شك فيه زعيم ولا إمام حتى نخشى من شكه على العامة".

والسؤال الذى يطرأ هنا إذا كان معظم الوفديين، وزعيم الأمة سعد زغلول وقفوا ضد طه حسين فمن الذى دافع عنه؟

الواقع أن أول الذين دافعوا عن طه حسين هم الصفوة الفكرية من الارستقراطية المصرية فأستاذه " احمد لطفى السيد" مدير الجامعة وقتئذ وأحد أعلام حزب الأحرار الدستوريين دافع عنه ووقف بجانبه ، و"على الشمسى" وزير المعارف طالب مجلس النواب " أن تكون الجامعة معهدا طلقا للبحث العلمى الصحيح، وأن لا يحكم على أعمال أساتذتها الا النقاد" كما دافع عنه عبد الخالق ثروت أحد أنصار الأحرار الدستوريين فى مجلس النواب.

يضاف إلى ذلك ان بعض الوفديين وقفوا بجانب طه حسين وكتابه وفى مقدمة هؤلاء عباس العقاد كاتب الوفد الأول الذى رأى مساندة صاحب البحث أمام الجهات الرسمية وتحت قبة البرلمان لاعتقاده أن هزيمة الفكر فى هذه الأزمة سيعقبه افتئات رجال الحكم على أصحاب الأقلام.

ولما كان جو مجلس النواب فى غير صالح الدكتور طه حسين اقترح أحد النواب وهو الدكتور أحمد ماهر فض الجلسة إلى موعد آخر.

ولما رفعت الجلسة ذهب سعد زغلول إلى مكتبه بمجلس النواب وتبعه عدلى باشا ورشدى باشا، وبقيا معه عشر دقائق ثم اتفق على تأجيل الجلسة إلى اليوم التالى، ولما أعيد فتح الجلسة اتضح استياء عدلى يكن رئيس الوزارة ومعارضته لمحاكمة الدكتور طه حسين موضحا أن أى قرار

يصدره المجلس معارضا لما اتخذته الوزارة من خطة فى هذه المسألة لا يعد مؤيدا لها، كما طرح الثقة بالوزارة إذا أصر المجلس على موقفه المناوئ لطه حسين، ونجم عن ذلك سوء تفاهم بين الحكومة والمجلس وكان سعد زغلول عنيدا فى موقفه، وتعكر الجو قليلا ثم اختلى سعد باشا بعدلى يكن نحو ساعة ضاع على أثرها كل أثر لتلك الزوبعة وكان الحل أن يتقدم النائب عبد الحميد البنان بشكواه إلى النيابة العمومية، فتسقط التبعة عن الحكومة، وينفذ رأى الأمة بأن تسير القضية إلى غايتها أمام القضاء.

قام العضو عبد الحميد البنان برفع الدعوى العمومية أمام النيابة، وكان طه حسين متغيبا خارج البلاد فى مهمة علمية أوفدته إليها الجامعة ونشطت النيابة العمومية فى نظر الشكاوى المقدمة ضد الدكتور طه حسين من العلماء وعضو مجلس النواب حتى تحدد الجريمة وتقترح العقاب وبالرغم من أن الدكتور طه حسين قدم الأدلة والبراهين بأنه اتبع فى دراسته للشعر الجاهلى أسلوبا علميا منظما إلا أنه فى نهاية الأمر مس المعتقدات الدينية الثابتة وهزها من أساسها كما مس التراث.

رأت النيابة أن اقوال المبلغين أجمعت على أن طعن طه حسين فى الدين الاسلامى كان فى مواضع أربعة هى:

١ – تكذيب القرآن فى أخباره عن إبراهيم وإسماعيل فجاء فى كلام الدكتور طه حسين "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن ان يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى".

٢ – ما تعرض له المؤلف فى شأن القراءات السبع المجمع عليها، والثابتة لدى المسلمين جميعا ، وأنه فى كلامه عنها يزعم عدم إنزالها من عند الله وأن هذه القراءات إنما قرأتها العرب لا كما أوحى الله بها إلى سيدنا محمد عليه السلام.

٣ – تعريض الدكتور طه حسين فى كتابه بنسب الرسول والتقليل من قدره بقوله: " ونوع آخر من تاثير الدين فى انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين. وهى ما يتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه فى قريش فلأمر ما اقتنع الناس أن النبى يجب أن يكون من صفوة بنى هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف.. وأن يكون العرب صفوة الإنسانية كلها ".

٤ – إنكار المؤلف أن الإسلام دين إبراهيم بقوله: " أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبوا أن للإسلام أولوية فى بلاد العرب. وشاعت فى العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين ابراهيم.

بدأ التحقيق فى القضية يوم ١٩ اكتوبر ١٩٢٦ فقامت النيابة ببحث قضية لم تعهد مثلها من قبل فهى قضية فكرية بحتة، وقد اسْتطاع " محمد نور" رئيس نيابة مصر فى ذلك الوقت إدارتها بمقدرة وبراعة فاستشهد خلال عرضه لها بكتاب المؤلف وبمراجعته فبالنسبة لنقطة الاتهام الأولى قال إنه من حيث العبارات التى يقول المبلغون أن فيها طعنا على الدين الإسلامى إنما جاءت فى كتاب فى سياق كلام على موضوعات كلها متعلقة بالغرض الذى ألف من أجله، ولا يجوز انتزاع تلك العبارات من موضوعها، والنظر إليها منفصلة.

وعن نقطة الاتهام الثانى قال " ونحن نرى أن ما ذكره المؤلف فى هذه المسالة هو بحث علمى لا تعارض بينه وبين الدين، ولا اعتراض لنا عليه".

أما عن الاتهام الثالث فذكر أنه لا يوجد اعتراض على بحثه على هذا النحو من حيث هو ، وإنما كل ما نلاحظ عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة الرسول ونسبه فى قريش بعبارات خالية من كل احترام بل بشكل غير لائق.

وبالنسبة لنقطة الاتهام الرابع قال " ونحن لا نرى اعتراضا على ان يكون مراده بما كتب فى هذه المسالة هو ما ذكره، ولكننا نرى أنه كان سئ التعبير جدا فى بعض عباراته كقوله " ولم يكن أحد قد احتكر ملة إبراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد أخذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته إلى دين إبراهيم هذا الذى هو أقدم وأنقى من دين اليهود والنصارى".

وبهذا انتهى النائب العام من عرض وجهة نظره الأدبية والنقدية ثم يستطلع بعد ذلك رأى القانون فذكر ان المادة ١٤ من الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ تنص على أن "حرية الرأى مكفولة ، ولكل إنسان حق الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير".

ثم إن المادة ١٤٩ نصت على أن "الإسلام دين الدولة" فلكل إنسان حرية الاعتقاد بغير قيد ولا شرط، وحرية الرأى فى حدود القانون، فله أن يعرب عن اعتقاده وفكره بالقول أو بالكتابة بشرط ألا يتجاوز حدود القانون، ثم يورد كذلك المادة ١٣٩ من قانون العقوبات الأهلى والتى تنص على عقاب كل تعد يقع بإحدى الطرق العلنية على أحد الأديان.

وقد أنكر المؤلف فى التحقيقات أنه لم يهدف إلى الطعن فى الدين الإسلامى، وقال إن ما ذكره كان من أجل البحث العلمى وخدمة العلم لا غير، وأنه كمسلم لا يرتاب فى وجود ابراهيم واسماعيل وما يتصل بهما مما جاء فى القرآن، ولكنه كعالم مضطر إلى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود العلمى التاريخى لابراهيم واسماعيل.

ولما اتضح للنيابة أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدى على الدين بل أن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه انما قد أوردها فى سبيل البحث العلمى فقد حفظت النيابة أوراق القضية إداريا بناء على مذكرة قانونية كتبها النائب العام وقرر فيها حسن نية الدكتور طه حسين واستشهد فى ذلك بفقرة من مقاله كتبه فى "السياسة

الأسبوعية" أوضح فيه أن كل إنسان يستطيع أن بجد فى نفسه شخصيتين متميزتين إحداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير والأخرى شاعرة تلذ وتتألم وتفرح وتحزن وكلتا الشخصيتين متصلة بمزاجنا وتكويننا لا نستطيع أن نخلص من إحداهما " فما الذى يمنع من أن تكون الشخصية الأولى عالمة باحثة، وأن تكون الشخصية الثانية مؤمنة ومطمئنة وطامحة إلى المثل الأعلى".

وعند تحليل أزمة كتاب " فى الشعر الجاهلى" من الناحيتين الدينية والعلمية يتضح أن هذا الكتاب آثار الرأى العام من الناحية الدينية إلى درجة مطالبته براس الدكتور طه حسين كما أنه شغل الرأى العام والصحافة معا وإذا كان أستاذ الجامعة من واجبه البحث عن الحقيقة فإن واجبه يحتم عليه ايضا احترام شعائر ومعتقدات الجماهير.

حقيقة ان أحدا من الطلاب لم يَشْكُ ان الدكتور طه حسين قد أهانه أو أقلقه فى معتقداته كما يتضح من التحقيق الذى أجرته كلية الآداب فى ذلك الوقت، ولكن نشر الكتاب بين أوساط الناس قد آثار الرأى العام ثورة عارمة وأحدث هزة عنيفة بين طبقات الشعب المصرى.

أما من الوجهة العلمية فإن أستاذ الجامعة المصرية كغيره من الجامعات الأخرى من واجبه أن ينشر نتيجة أبحاثه ولا يحكم على أعماله إلا النقاد المتخصصون وأن مجلس الجامعة بصفته الهيئة التأديبية للجامعة هو الذى يحاكم الأستاذ المخطئ وليس غيره، ولكن اجتراء طه حسين على التشكيك فى العقيدة الدينية قد حول القضية إلى قضية عامة.

لقد أثارت قضية كتاب فى الشعر الجاهلى البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وتصدت لإثارتها هيئات سياسية متعددة نظرا لخطورتها فهذه القضية تمثل أبعادا ثلاثة أدبية واجتماعية وسياسية.

أما كونها قضية أدبية فقد درس طه حسين قضية الانتحال فى الشعر دراسة علمية مرجعا إياها إلى أسبابها. وإذا كانت هذه المعركة قد جَرَّتْ

على طه حسين كثيرا من المشاكل فإنها كانت تمثل شموخ التطلعات الثقافية فى الأدب الحديث.

وأما كونها قضية اجتماعية فإنها تحولت إلى قضية عامة تهم الجميع وخصوصا وأن طه حسين طالب بتغيير اتجاهات المجتمع المصرى وبصفة خاصة السلفية منها لدرجة أنها وصلت إلى مجلس النواب وتدخلت فيها هيئات سياسية ودينية على مستوى رسمى بحجة أن الدكتور طه حسين اجترأ على أهم عمود يستند عليه الانسان ألا وهو عقيدة الإيمان وشكك فيما كان الناس يرونه يقينا.

أما عن الجانب السياسى للأزمة فإن طه حسين المحرر الأدبى لجريدة السياسة الناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين خصم لحزب الوفد صاحب الأغلبية الشعبية فى البلاد، وهو المتهم لذلك كانت الفرصة للنيل منه فأثار أعضاء الوفد وعلى رأسهم سعد زغلول زوبعة فى مجلس النواب اتهموا فيها طه حسين بالهجوم على الموروثات الاجتماعية والعقائد الدينية.

وهنا يطرأ سؤال لماذا انضم طه حسين إلى حزب الأحرار الدستوريين ولم ينضم إلى الأحزاب الأكثر شعبية مثل الحزب الوطنى أو حزب الوفد؟

الواقع أن طه حسين يمثل جيل الرواد المتمرد على كل القوانين والقوالب الثابتة وحزب الأحرار الدستوريين رغم ما فيه من عناصر غير تقدمية فقد كان يضم نخبة ممتازة من المثقفين وعلى رأسهم لطفى السيد وصفها طه حسين بأنها " الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم فى حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديثة".

وقد أتاح انضمام طه حسين لهؤلاء فرصة التعبير عن آرائه وهيأ له المناخ الصالح لنمو الكثير مما يعبر به عن حرية الفكر أما الحزب الوطنى فقد كان يتمسك بالتقاليد ويعلن ارتباطه بالدولة العثمانية كما أن حزب الوفد يمثل أغلبية شعبية معظمها يتميز بالأفكار المحافظة التى لم تكن تسمح له بإبراز انطلاقاته الفكرية، فطه حسين الذى يغلب العقل على العاطفة،

والذى يؤمن بأن تحرير بلده لن يتم إلا بتحرير الفكر من القيود الثابتة فقد فضل الارتباط بحزب الأحرار الدستوريين.

ومع أن طه حسين لن يتوقع الحماية من الرأى العام فقد توقع الحماية من النخبة المثقفة التى كانت ترتبط ارتباطا حزبيا بالأحرار الدستوريين أمثال لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وعبد الخالق ثروت ومصطفى وعلى عبد الرازق.

وعلى الرغم من أن كتاب " فى الشعر الجاهلى" قد آثار الرأى العام ضد طه حسين فإنه كان له أثره فى استجابة بعض الناس لتأثير التيار الغربى كما أكسب صاحبه شهرة علمية وخصوصا فى دوائر الاستشراق ومهما يقال عن هذا الكتاب فقد كان مولدا لمنهج طبقه طه حسين على الأدب العربى فكان ثمرة ذلك مؤلفات عديدة فى الأدب وتاريخه استطاع طه حسين ان يزودها بالقديم فينقذه ويصفيه مبتدئا بتحقيقه وتمحيص مصادره لينتهى إلى إعادة تقديمه.

ونتيجة لما آثاره كتاب " فى الشعر الجاهلى" من ثورة وغضب أعاد الدكتور طه حسين طبع هذا الكتاب عام ١٩٢٧ تحت عنوان آخر هو "فى الأدب الجاهلى" بعد أن حذف منه معظم الكتابات التى سببت الضجة وتوسع فى فصوله الأخرى وأضاف إليه فصولا جديدة، وإن كان قد أعلن أكثر من مرة أنه متمسك بما جاء فى الطبعة الأولى من كتاب " فى الشعر الجاهلى" وعلى الرغم من مرور حوالى عامين على هذه القضية إلا أن أصداءها كانت ما زالت تتردد وبنفس القوة فتح مجلس النواب ملف القضية فى ٢١ مايو ١٩٢٨ وتوسع فى الهجوم على أستاذية الدكتور طه حسين حتى شمل محاضراته لطلابه حول القرآن الكريم واتهم طه حسين بتعرضه فى دروسه إلى القرآن ونسب إليه أقوال وآراء لا تلائم أصول الدين واتهم بأنه يكلف بعض طلبته أن ينقدوا بعض آيات القرآن الكريم يعينها لهم ويطلب منهم إثبات هذا النقد فى كراسات يتلونها عليه وكانوا يثبتون أن

هذه الآية ليست من البلاغة بمكان، وأن تلك الآية على جانب من الركاكة، وأن الآية الأخرى مفككة لا تؤدى المعنى المقصود منها كما ذكروا أن الدكتور طه حسين تجاوز فى كلامه كل حد ، وطالب أحد الأعضاء بأن ينزل به ما يستحق من عقاب.

وقد كذبت الجامعة ما نسب إلى الدكتور طه حسين من التعرض للقرآن الكريم تكذيبا قاطعا ، وأعلنت أن القرآن يدرس فى كلية الآداب دراسة متفقة كل الاتفاق مع ما يليق بمكانته المقدسة من الاحترام والاجلال ليتبين الطلاب منه مواضع الإعجاز وحسن البيان.

وعلى الرغم من احتدام المناقشات فى المجلس حول هذا الموضوع إلا أنها لم تنته إلى قرار، وظل طه حسين يعمل كأستاذ فى الجامعة حتى تم تعيينه عميدا لكلية الآداب.

ثالثا: طه حسين عميدا فى كلية الآداب بالجامعة المصرية:

لم تفت الأزمة التى مر بها الدكتور طه حسين فى عضد الجامعة المصرية الشابة، كما لم تضعف من الروح الاستقلالية لديها فقد أعلنت إرادتها عام ١٩٢٨ بتعيين الدكتور طه حسين عميدا فى كلية الآداب فيها مكان العميد الفرنسى ميشو Michaud، وهنا أثيرت أزمة سياسية إذ كانت الحكومة الوفدية غير راضية عن ذلك التعيين، لصلة الدكتور طه حسين الوثيقة بحزب الأحرار الدستوريين فطلب وزير المعارف من الدكتور طه حسين أن يستقيل وحسما للأمر قبل الدكتور طه أن يستقيل بشرط اعتماد تعيينه أولا تنفيذا لإدارة الجامعة، فتم تعيينه عميدا ووقع بعض الأوراق فى الصباح، وفى المساء قدم استقالته ، وأعيد تعيين العميد الفرنسى ميشو فلما انتهت مدة العميد الفرنسى عام ١٩٣٠ عادت الكلية فانتخبت الدكتور طه حسين عميدا لها، ووافق على تعيينه وزير المعارف آنذاك مراد سيد أحمد، فكان أول مصرى ينتخب عميدا لكلية الآداب ، وبعد يومين من تعيينه طلب

منه أن يستقيل من الجامعة ليصبح رئيسا لتحرير جريدة الشعب لسان حال الحزب الحاكم الذى أسسه صدقى باشا فرفض وآثر البقاء فى الجامعة فأسرها صدقى فى نفسه.

لقد استطاع طه حسين أن يكسب لكليته مكانا مرموقا بين الجامعات فقد بدأ المصريون يبحثون عن آثارهم ووفقوا فى هذا البحث إلى حد بعيد، ولأول مرة بدأ المصريون يضعون كتبا فى الأدب قبلها الغربيون قبولا حسنا، كما أنه طَوَّرَ الدراسة فى كلية الآداب تطويرا يتلاءم مع العصر الحديث، وفى نفس الوقت لم يهمل التراث القديم بل عمل على الاستفادة منه استفادة علمية صحيحة بعد تنقيحه وتمحيصه بدقة وانعكست هذه الأفكار على مناهج الدراسة فى أقسام التاريخ والآثار والدراسات الأدبية وهكذا لا يمكن اتهام الدكتور طه حسين بكراهية كل ما هو قديم، فالواضح انه بفضل طه حسين عرفت الدراسات العربية المنهج العلمى، وبدأ الفكر العربى يعيد النظر فى تراثه القديم، كما تحققت الصلة الواضحة القوية بين الحضارة العربية والحضارة الغربية، وساهمت كلية الآداب مساهمة كبيرة فى الحركات الأدبية العامة فاحتفلت بالعيد الألفى للمتنبى، ومثلت مصر فى مؤتمرات المستشرقين تمثيلا رفع مكانتها.

وكان طه حسين هو أول من عرض على لطفى السيد مدير الجامعة قبول الطالبات فى الجامعة، وحين سأله لطفى السيد " هل قانون الجامعة يمنع دخول البنات؟" أجابه بأن القانون يقول ان الجامعة للمصريين ولم يحدد النوع.

وكانت كلية الآداب أول كلية فتحت أبوابها للطالبات كما أنها كانت أول كلية أدخلت ضمن هيئة تدريسها ثلاث سيدات هن الآنسة سهير القلماوى للغة العربية، والسيدة درية فهمى للغة الانجليزية ، والآنسة فاطمة سالم للدراسات القديمة وكان هذا الإجراء بمثابة ثورة فكرية وتعليمية لم يجرؤ على حمل لوائها فى ذلك الوقت سوى الدكتور طه حسين وقد

صورت الدكتورة سهير القلماوى ذلك فذكرت أن الأستاذ " بانجهام" عميد كلية العلوم بالجامعة المصرية رفض قبولها كطالبة فى كليته وهدد بالاستقالة إذا قبلت أى طالبة، ومع ذلك فقد قبلها الدكتور طه حسين فى كلية الآداب.

ولم يقتصر أثر طه حسين على الجامعة فخرج إلى المجتمع وواظب على إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة بقاعة الجمعية الملكية الجغرافية ، كما سافر طه حسين إلى أوروبا لتمثيل الجامعة فى بعض المؤتمرات العلمية ففى سنة ١٩٢٦ سافر إلى بيروت ودمشق والقدس لتمثيل الجامعة فى مؤتمر الآثار السورية ، وفى عام ١٩٢٨ ندب لتمثيل الجامعة فى مؤتمر المستشرقين فى اكسفورد، وفى سنة ١٩٣٠ ندب لتمثيل الجامعة فى مؤتمر المستشرقين فى فينا ، وفى سنة ١٩٣١ ندب لتمثيل الجامعة فى الاحتفال بالعيد المئوى الرابع لكلية دى فرانس كما حضر مؤتمر المستشرقين فى ليدن.

ورغم ما قدمه طه حسين للجامعة من خدمات فإن الظروف السياسية المتغيرة فى مصر فى تلك الفترة قد عرضته فى أوائل الثلاثينيات إلى غضب حكومة صدقى وإبعاده من الجامعة جزاء تمسكه بضرورة استقلال الجامعة، وروى الدكتور طه حسين هذه الحادثة وأرجع أسبابها إلى أن صدقى باشا عرض عليه أن يستقيل من الجامعة وأن يرأس تحرير جريدة الشعب المدافعة عن الحكومة فاعتذر طه عن هذا الطلب كما أنه عارض فى منح القاب الشرف للذين عرض وزير المعارف أسماءهم ومنهم يحيى ابراهيم باشا، وتوفيق رفعت باشا وعلى ماهر باشا على أساس أن الجامعة لا تمنح ألقابها بأمر الوزير وطلب من الوزير أن يعدل عن رايه وألا يورط الجامعة فى السياسة فالجامعة من حقها أن تكون للعلم وحده فغضب الوزير وتحين الفرصة لإبعاده عن الجامعة.

وقد أوضحت جريدة السياسة سببا ثانيا وهو أنه عند زيارة الملك فؤاد للجامعة هتف الطلبة لعدلى باشا وللدكتور طه وتجاهلوا صدقى باشا وحلمى عيسى باشا وزير المعارف مما أثار حفيظة الحكومة.

أما الوثائق البريطانية فتقدم لنا أسبابا أخرى لإبعاد الدكتور طه حسين من الجامعة منها اعتراضه على خطاب وزير المعارف أمام الملك فؤاد عند زيارته للجامعة لتوزيع الشهادات الجامعية على أصحابها فى فبراير ١٩٣٢ فقد جاء فى خطاب وزير المعارف أن النية متجهة إلى منح عالم بلجيكى درجة فخرية دون أن يستشير المسئولين فى الجامعة فاعترض الدكتور طه حسين على ذلك مما أحدث حرجا لوزير المعارف وجعله يحس بصعوبة التعامل معه.

هذا فى حين كانت المبررات التى استندت إليها وزارة المعارف فى إبعادها الدكتور طه حسين تتلخص فى أنه كان عضوا بمجلس إدارة معهد التربية مع فريق رجال الجامعة، وأصدروا قرارا بجعل مدة الدراسة بالمعهد سنة واحدة بدلا من سنتين ، وتسرب القرار إلى مسامع الطلاب قبل أن يعرض على وزير المعارف، فأرسلوا تلغرافا إلى الوزارة طلبوا فيه بصفة الإلزام التصديق على القرار، وهددوا بالاضراب إذا لم يتم ذلك، مما دفع الوزارة إلى تغيير مجلس الإدارة وإخراج الدكتور طه حسين من هيئته ونتيجة لذلك امتنع أساتذة كلية الآداب عن التدريس فى معهد التربية، وفى كليات الأزهر الشريف ومنها أيضا أنه أنشئت فى كلية الآداب جمعية نشرت الأهرام صورة أعضائها على مائدة يرأسها الدكتور طه قيل أن أغراضها علمية، ولكن ما لبثت الوزارة أن تلقت على أثر اجتماعها تلغرافات من خريجى الكلية بشأن توظيفهم كذلك فإن الوزارة لاحظت من الدكتور طه تفريقا فى المعاملة بين الأساتذة بسبب جنسياتهم وأن له اتصالا مباشرا بهيئات أجنبية بشأن تعيين الموظفين فى الجامعة مما يؤدى أحيانا إلى خلق صعوبات ليس من شأنه التعرض لها.

وعندما سئل الدكتور طه حسين عن الأسباب التى تسلحت بها وزارة المعارف لنقله قال الأسباب التى نشرت كلها مكذوبة ولست أشك فى أنها قد دست على الوزير، لذلك طلبت منه أن يحقق هذه الأسباب لأنه ليس من السهل إتهام استاذ بالتحريض، كما أنه من غير المعقول أن يتهم عميد بالاتصال ببعض الهيئات السياسية الأجنبية ، كما أنكر أنه أبلغ قرار مجلس إدارة معهد التربية إلى الطلبة قبل أن يبلغ للوزير كما نفى أنه حرض أساتذة كلية الآداب على الامتناع عن التدريس فى الأزهر وأنه أبعد الناس عن المساس بالدين الاسلامى وكرامته.

ولتحليل الأسباب التى استندت عليها وزارة المعارف لنقل الدكتور طه حسين أن الوزارة ألقت تهمة تسرب قرار معهد التربية على الدكتور طه حسين فى حين أنه من الممكن أن يكون القرار قد تسرب عن طريق الموظفين الإداريين فى المعهد، وبالنسبة للتلغرافات التى أرسلها خريجو الكلية بشأن توظيفهم فالواضح أنه لا دخل للدكتور طه فيها فقد ذكر أحد خريجى كلية الآداب على صفحات الأهرام أنه وزملاءه أرسلوا هذه التلغرافات بصفتهم الشخصية إلى الهيئات المختصة يطلبون إيجاد أعمال لهم، ولا علاقة لذلك مطلقا بمسألة الرابطة. أما عن مسالة التفريق فى المعاملة بين الأساتذة بسبب جنسياتهم واتصاله مع هيئات سياسية أجنبية فمن الواضح أن الوزارة قصدت بطريق خفى اتهام الدكتور طه حسين بعرقلة مساعيها فى صبغ الجامعة المصرية بالصبغة الإنجليزية وهو أمر لا يتم بوجود طه حسين فيها.

ولقد أصدر وزير المعارف قرارا فى ٣ مارس ١٩٣٢ بنقل الدكتور طه حسين من الجامعة إلى وزارة المعارف واستند فى ذلك على المادة السابعة من القانون ٤٢ لسنة ١٩٢٧- والتى تنص على " أن هيئات الجامعة تباشر إرادتها تحت سلطة وزير المعارف الذى هو الرئيس الأعلى للجامعة" - وأغفل الوزير سلطات مجلس إدارة الجامعة، ومجالس الكليات

التى لابد أن يؤخذ رأيها فى أمور مثل النقل والترقية وغيرها، فالجامعة تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى فى إدارة شئونها لوجود مجلس خاص بها يجب أن يسترشد به وزير المعارف فيما يصدره من قرارات تخصها.

ومن وجهة نظرنا فإن الأسلوب الذى مارسته الحكومة فى نقل الدكتور طه حسين من الجامعة كان جافا وينقصه الكثير من الكياسة مما أثار رجال الجامعة أساتذة وطلابا، فقامت على أثر ذلك ضجة كبرى، فاجتمع مجلس كلية الآداب للنظر فى صيغة احتجاج يقدم إلى الوزير، وانقسم الرأى فالأساتذة الفرنسيون يريدون احتجاجا قويا فى حين أعد الأساتذة الانجليز والمصريون احتجاجا أخف لهجة، وانتهى الأمر بتقديم الاحتجاجين إلى وزير المعارف، وكلاهما يعترض على النقل ويطلب ضمانات لاستقلال الجامعة.

فقد تضمن رأى الكلية أن نقل الأساتذة من غير أخذ رأى الهيئات العلمية مخالف لقانون الجامعة المصرية وحريتها وهادم لاستقلالها وأن نقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب وأستاذ الأدب العربى بها لقى دهشة واستنكار الأساتذة، وأعلنت الكلية عن ثقتها التامة فى الدكتور طه حسين وعن إعجابها بآثاره العلمية كما طالب المجلس بعقد مجلس إدارة الجامعة بأسرع ما يمكن للعمل على إعادة الدكتور طه ، وتنفيذ اللائحة الخاصة بنقل أعضاء هيئة التدريس فى الكليات، كما أضرب طلبة كلية الآداب عن تلقى دروسهم واجتمعوا خارج المدرجات للإعراب عن أسفهم لنقل أستاذهم الدكتور طه حسين، وأرسلوا برقية إلى الملك فؤاد يلتمسون فيها عودة أستاذهم ، لأن نقله يعد افتئاتا على حقوق الجامعة وسلطتها، ولما لم يتحقق مرادهم استمروا فى الإضراب وتجمعوا فى مدرج قسم الجغرافيا بالكلية، وانضم إليهم طلبة الحقوق، وعلى أثر ذلك توجهوا إلى الإدارة العامة للجامعة، وطلبوا مقابلة الأستاذ أحمد لطفى السيد مدير الجامعة فخرج إليهم ناصحا لهم بالإخلاد إلى النظام، والعودة إلى دروسهم لأن إضرابهم ليس

من شأنه أن يساعد على تحقيق رغبتهم ، فخرج الطلبة من الجامعة قاصدين القصر الملكى ليرفعوا طلبهم إلى الملك فؤاد ، وعند مرورهم على كلية الطب انضم إليهم عدد من طلبتها، ولما حاول الطلبة الوصول إلى سراى عابدين قطع عليهم البوليس الطريق وطلب منهم الاكتفاء بايفاد بعضهم وانتظار الباقى ، فتقدم اثنان من طلبة كلية الآداب بينهما آنسة وثالث من الطب، ورابع من الحقوق وقابلوا كبير الأمناء وقدموا شكواهم.

واستمر طلبة كلية الآداب فى إضرابهم ، وشاركهم فى ذلك طلاب الحقوق والطب، ونتيجة لتفاقم الموقف أرسلت الحكومة دوريات من الجند للمرابطة على طول الطريق الموصل إلى الجامعة، ومنع الطلبة من الاحتشاد وحالت دون تنقلهم من كلية إلى أخرى، كما دست مجموعة من الجواسيس لمراقبة الطلبة والاستماع إلى أحاديثهم .

ثم أعلنت أنه ليس من حق الطلبة إملاء إرادتهم على وزارة المعارف، كما هددت الوزارة الطلاب بالفصل من الجامعة وإحلال غيرهم، كما أعلن وزير المعارف أنه سيغلق أى كلية يستمر طلبتها فى الإضراب، ولم يذعن الطلبة لكل هذه التهديدات فاجتمعوا على هيئة مؤتمر طلابى . ودارت المناقشة بينهم وتبودلت الآراء حول الموقف ثم استقر الرأى على التوجه بنداء إلى مدير الجامعة، وبآخر إلى سائر الطلاب من جميع الكليات، وبثالث إلى الأمة المصرية، كما قرر طلبة كلية الآداب الاستمرار فى الإضراب حتى يعود عميدهم، وانهم سيتحملون مسئولية ذلك مهما حدث، وقد تطور الموقف بمقابلة رئيس الجامعة لرئيس الوزراء بقصد إيجاد حل وسط بأن يرجع الدكتور طه أستاذا بالكلية لا عميدا لها، ولكن اقتراحه رفض مما دفع مدير الجامعة إلى تقديم استقالته من منصبه، وقد أعرب فى كتاب استقالته عن أسفه لنقل الدكتور طه حسين لأن هذا الأستاذ كما يذكر لا يمكن تعويض دروسه التى يلقيها على طلبته ، ومحاضراته العامة للجمهور، وتضمنت استقالة لطفى السيد أن الدكتور طه حسين قد أوجد

مناخا علميا جديدا فى الجامعة وبوجه خاص فى ميادين البحوث الأدبية وأشار مدير الجامعة إلى أن هذا النقل يعتبر مخالفا للعقد الذى تم بين وزير المعارف وبين الجامعة القديمة والذى ينص على تعيين الدكتور طه حسين أستاذا بالجامعة الحكومية، ولما وافق وزير المعارف على استقالة مدير الجامعة، نقلت المشكلة إلى طور جديد، فهى لم تعد مسألة نقل الدكتور طه بل أصبحت مسألة الجامعة كلها.

واعتزم الطلاب إرسال تلغرافات إلى جامعات أوروبا يبلغونها ما حدث مستنكرين الاعتداء على استقلال الجامعة، وعلى حرية العلم، وكرامة العلماء بنقل عميد كلية الآداب من منصبه بدون رضاه، وبدون رضا الجامعة.

وقد أرسل الاتحاد الدولى للجامعات بباريس مندوبا عنه قابل بعض الطلبة وذكر لهم أن الاتحاد وقف على أنباء الأزمة فى الجامعة المصرية من البرقيات التى وصلت إليه، ومما ورد فى الصحف، وهو يريد بيانا مفصلا عنها.

ووجهت الوزارة إنذارا ثانيا إلى الطلبة فأعلنت أنها لا تقبل التساهل فى أمور التظاهر والإضراب والفوضى، وأنها ستضرب المظاهرات بكل شدة وبكل ما تملك من وسائل، لأن قانون البلاد لا يبيح المظاهرات وأن المحاكم سترسل إلى السجون كل من يشترك فيها أو ينظمها أو يدعو إليها ثم أوضحت لهم أن مسألة نقل الدكتور طه حسين هى مسألة إدارية وأن وزارة المعارف لم تتصرف فيها إلا فى حدود حقوقها.

كما هدد الأساتذة الذين يتمسكون بموقفهم بأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا فيه إلى النهاية، وأنهم سيخسرون من الإصرار على طلبات غير معقولة ورغبات مستحيلة ، لأن الوزارة لن ترجع عن قرارها، فهى لا تعترف بأن قرارها كان خاطئا وأنها لن تسمح بتحكم الطلبة فى وزارة المعارف.

وبدات الحكومة حملة هجوم ضد الدكتور طه حسين فأخذت تشكك فى قدرته العلمية على لسان صحفها ، فذكرت جريدة الاتحاد أن شهرة الدكتور طه حسين العلمية لم تستند على أساس، ونوهت إلى أن كتاب الشعر الجاهلى لم يقتصر على ما جاء فيه من الإلحاد بل هو أيضا صورة مكررة لآراء سبقه إليها سواه ، كما ذكرت أن الدكتور طه حسين شخصية عادية ولا يستحق كل هذا الضجيج ، وأن كتابه " فى الشعر الجاهلى" نسخة مكررة من كتاب جرجس سال وشخص آخر وكلاهما ملئ بالطعن فى القرآن والرسول، وقد جعل الدكتور طه من هذين الباحثين مثالين يقتدى بهما ودللت صحيفة الاتحاد على ذلك بقولها " ولتصديقنا يراجع القارئ كتاب "مقالة فى الاسلام" للخواجه جرجس سال زميله.

كما ذكرت أن كتاب " حديث الأربعاء" أشبه شئ برواية مجونية سداها ولحمتها بعض نصوص الكتب المصرية القديمة ، ثم تهكمت على الدكتور طه حسين بقولها " كثير على الآداب أن يقال أن كلية الآداب لا تجد فى مصر غير الدكتور طه حسين".

أما الصحف المعارضة للحكومة فقد دافعت عن الدكتور طه حسين وطالبت بإعادته إلى الجامعة فصحف الوفد والأحرار الدستوريين أعلنت تأييدها لإضراب الطلاب ووقفت بجانب الدكتور طه حسين.

والغريب أنه بعد صدور قرار نقل الدكتور طه حسين من الجامعة أوعزت الحكومة إلى أحد أنصارها فى مجلس النواب وهو النائب عبد الحميد سعيد لإثارة حملة شديدة ضد الدكتور طه حسين ، ولاتهامه بنشر الكفر والإلحاد بين طلبة الجامعة، وإباحة جلوس الشابات بجانب الشبان مع أن وزارة المعارف لا تسمح بالاختلاط فى معاهد التعليم، فوجه النائب المذكور استجوابا إلى وزير المعارف العمومية يتضمن ثلاث نقاط:

١ – عن الصورة التى نشرت فى جريدة الأهرام ، وتظهر طلبة كلية الآداب حول عميدهم الدكتور طه حسين، وقد جلست كل شابة إلى جانب شاب.

٢ – تحريض الدكتور طه حسين اساتذة الجامعة للامتناع عن التدريس فى كليات الأزهر بقصد محاربة هذا المعهد الاسلامى الكبير.

٣ – معاداة الدكتور طه حسين للإسلام وإبداء آراء مخالفة لنصوص القرآن الكريم والعقائد الدينية الأخرى ، وبوجه خاص ما كتبه تحت عنوان " فى الشعر الجاهلى" وبرغم استنكار رجال الدين لما ورد فى هذا الكتاب فما يزال يدرس فى الجامعة تحت عنوان "فى الأدب الجاهلى" كما أن كتاب "حديث الاربعاء" يزين للشباب طريق الفجور.

وقد تساءل صاحب الاستجواب كيف تسمح وزارة المعارف بعد ذلك كله بأن يكون الدكتور طه حسين عميدا لكلية الآداب فى الجامعة المصرية؟

وجاء رد وزير المعارف مرضيا للنائب إذ تضمن احتجاز الجامعة لكتاب " فى الشعر الجاهلى " وعرض كتاب " حديث الاربعاء" على لجنة خاصة قدمت تقريرا عنه بمنع تداوله نظرا لأنه يحتوى على آراء من شأنها تحقير الدين والسخرية من العرب وحضارتهم ، وانتهى الوزير إلى أن وزارة المعارف قد قررت نقل الدكتور طه حسين من الجامعة إلى ديوان عام الوزارة.

وفى رأينا أن تقديم الاستجواب فى مجلس النواب بعد نقل الدكتور طه حسين فعلا من الجامعة يبدو أمرا غريبا فمن المفروض أن يسبق الاستجواب النقل أما وقد نقل الدكتور طه حسين فتقديم الاستجواب لا محل له اللهم إلا إذا كان لستر تصرف الوزارة نحو الجامعة ورجالها، كما أن ما أبداه النائب من ملاحظات فى استجوابه المقدم إلى وزير المعارف كان افتئاتا على الدكتور طه حسين لأن اختلاط الجنسين فى الجامعة كما ظهر

فى الصورة التى نشرتها الأهرام لم يكن الأول من نوعه، فقد سبق للطلبة والطالبات الاشتراك سويا فى استقبال الملك فؤاد ، ولم ينكر أحد فى ذلك الوقت هذا التصرف كما ان الطلاب والطالبات يجتمعون فى كليات الجامعة الأربع ولم ينكر الوزير ذلك ، ولم يناقش فيه ، ولم يطلب إلى الجامعة منع اختلاط الجنسين.

أما عن امتناع بعض أساتذة الجامعة عن التدريس فى الأزهر فقد ذكر الدكتور طه حسين بأنه هو الذى كان يسهل قيام الأساتذة بالتدريس فى الأزهر، واستشهد فى ذلك بالشيخ الفحام أما التصرفات الفردية لبعض الأساتذة ومنهم الأستاذ شفيق غربال فقد نفى الدكتور طه حسين صلته بذلك.

ويؤيد وجهة نظرنا فى افتئات النائب عبد الحميد سعيد فى استجوابه أن موضوع كتاب " فى الشعر الجاهلى " سبق أن أثير فى مجلس النواب عام ١٩٢٦ وتم اتخاذ قرار فى شأنه.

واستمر الموقف فى التأزم بين الجامعة والوزارة فحمل الطلبة شارة للحداد كرمز لامتهان استقلال جامعتهم ، ولما تفاقم الموقف واتضح استغلال الأحزاب المعارضة لما يحدث اجتمع عمداء الكليات الأربع فى الجامعة، وقرروا وقف الدراسة فى كلياتهم إلى صباح الأحد ٢٠ مارس ١٩٣٢، وعدم السماح بدخول الكليات إلا للطلبة الذين يحصلون من كلياتهم قبل هذا التاريخ على بطاقة تبيح لهم دخول الكلية بعد أن يقدموا تعهدا بالمحافظة على النظام والمواظبة على الدراسة، وأن كل من يخل بالنظام يفصل من كليته، كما أصدر وكيل الجامعة أمرا باغلاق نادى الجامعة حتى يوم ٢١ مارس ١٩٣٢.

واحتج طلبة الجامعة على قرار مجلس العمداء فى أول الأمر، وقُدِّمَ اثنا عشر منهم إلى المحاكمة ، وتأزم الموقف ثم اجتمع الطلاب واستقر

رأيهم على تنفيذ قرار الجامعة بالانتظام فى الدراسة وانتهت الأزمة بين الوزارة والجامعة عند هذا الحد.

ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب المعارضة للحكومة قد استغلت مسألة نقل الدكتور طه حسين من الجامعة لإثارة الرأى العام لإسقاط حكومة صدقى والطعن فى حكمه ، وهكذا تلاقت مساعى الجامعة فى الحفاظ على استقلالها وكرامتها مع أهداف أحزاب المعارضة فى النيل من حكومة صدقى واشعال الموقف السياسى فى مصر.

ومما سبق يتضح أن رغبة حكومة صدقى فى إبعاد الدكتور طه حسين عن الجامعة كان يرجع فى معظمه لأسباب سياسية، وأن كل ما وُجِّهَ إليه من اتهامات كان بغرض اتخاذ الذرائع لنقله مما أدى إلى تضامن الجامعة كلها من مديرها واساتذتها إلى طلبتها للذود عن كرامة الجامعة واستقلالها، وقاوموا الحكومة شهرا وضربوا أمثالا لا تنسى مما كان له تأثير خطير.

وكان نقل الدكتور طه حسين ابن الجامعة البكر الذى ربته ليكون أستاذا بها لا مفتشا فى وزارة المعارف مضيعة لجهود ربع قرن على الجامعة.

ولم يستسلم الدكتور طه حسين لقرار فصله من الجامعة فأخذ يعمل جاهدا للعودة إليها، وسلك فى سبيل ذلك الهدف سبلا شتى فرفع قضية على الحكومة فى شخص اسماعيل صدقى رئيس الوزراء ومحمد حلمى عيسى وزير المعارف يطلب فيها ٢٥ ألف جنيه تعويضا، ووقف إلى جانبه فى ساحة القضاء محمد على علوبة المحامى.

وقد جاء فى دفاع محمد علوبه أن الوزارة فى نقلها للدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب إلى وزارة المعارف قد خالفت التقاليد الجامعية وقانون الجامعة القديمة والاتفاق المبرم بين إدارة الجامعة القديمة ووزارة المعارف والذى يشترط أن يكون طه حسين أستاذا بالجامعة الحكومية.

والجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين بعد خلافه مع حكومة صدقى وخروجه من الجامعة بدأ يوطد صلته بحزب الوفد ، ويصبح أكثر التصاقا بالجماهير المصرية، ولاسيما بعد إضراب الطلبة فى الجامعة تحت قيادة الطلاب الوفديين وخروجهم فى مظاهرة ضخمة إلى بيت طه حسين حيث قابلهم فحملوه على الأعناق هاتفين بحياته وحياة الفكر الحر، ومنذ ذلك التاريخ رفض طه حسين الذهاب إلى وزارة المعارف وانضم إلى صفوف الجماهير.

ولا يخفى الأثر الهائل الذى أحدثه التحام طه حسين مع الجماهير المعارضة لحكومة صدقى من ناحية، وتزعمه طائفة المثقفين الذين رفعوا شعار توظيف العلم والأدب فى النهوض بالمجتمع ونشر الآراء الحرة والجريئة به من ناحية أخرى.

لقد حطم طه حسين ذلك الحاجز السميك الذى كان يفصل الفكر عن الحياة، والأدب عن المجتمع، والأقلية الارستقراطية عن باقى الشعب وكان المثقفون المصريون حتى معركة استقلال الجامعة فى الثلاثينات تقتصر أفكارهم على خدمة الأقلية الارستقراطية ومساندتهم لهم فى الحكم والسلطان، أما بعد معركة استقلال الجامعة فقد تغير الموقف وظهر من المثقفين جيل يتجه إلى المناداة بإصلاح المجتمع وتغيير الأحوال الثقافية به.

وبعد خروج وزارة صدقى من الحكم وانتصار الشعب بعودة دستور ١٩٢٣ بدات الصحف تلمح بضرورة عودة الدكتور طه حسين إلى الجامعة فذَكَّرَتْ جريدة السياسة الحكومة الجديدة بالضربة التى وجهتها الحكومة السابقة إلى الجامعة بفصل عميد كلية الآداب من وظيفته ليشغل وظيفة جديدة بعيدة عن الجامعة، وكانت وزارة نسيم قد خلفت وزارة عبد الفتاح يحيى المتممة لوزارة صدقى، وفى ديسمبر ١٩٣٤ أصدر مجلس الوزراء قرارا وزاريا بإعادة الدكتور طه حسين أستاذا فى كلية الآداب فكانت عودته خطوة هامة من جانب الحكومة هللت لها احدى الصحف قائلة :

"إن إرجاع الدكتور طه حسين إلى الجامعة يعتبر خطوة موفقة من الوزارة الجديدة فهى بذلك تخدم الجامعة وطلابها كما تخدم الأدب نفسه"، وهنأت طلبة كلية الآداب بعودته.

واستأنف الدكتور طه حسين دروسه فى كلية الآداب فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٤ واحتفل الطلاب به احتفالا كبيرا أوضح تقديرهم التام له.

ولما أجرى مندوب جريدة كوكب الشرق مع الدكتور طه حسين حديثا حول ما أحدثته حكومة صدقى فى الجامعة قال ان الجامعة " أوذيت أثناء هذا العهد من ناحيتين الناحية الأولى ناحية التعليم فى كلية الآداب خاصة، وفى كلية العلوم فقد غيرت برامج التعليم ومناهجه تغييرا أقل ما يوصف أنه اتخذ الطلاب أدوات تملأ بالمعلومات كما تملأ الآنية، والفكرة التى أقيم عليها هذا التغيير هى جعل الطلاب موظفين أو شبانا يصلحون للوظائف لا علماء، ولا رجالا يصلحون للحرية الصحيحة، وأنه لابد من رد التعليم الجامعى فى كلية الآداب إلى مثل ما كانت عليه ليستأنف طريقه نحو الرقى"، كما ذكر أن حكومة صدقى ألغت بعض الدراسات الهامة فى كلية الآداب فقد الغى فرع الدراسات السامية كما ألغى فرع الدراسات القديمة واللاتينية واليونانية، وأنه لابد من إعادة هذه الدراسات أما الناحية الثانية فهى الاستقلال الجامعى، لأنه لا ينبغى أن ننتظر تعليما صحيحا منتجا من جامعة لا يستمتع رجالها بالاستقلال الذى يمكنهم من العناية بالعلم من غير خوف".

وظل طه حسين يعمل أستاذاً بكلية الآداب حتى انتخب فى مايو ١٩٣٦ عميداً للكلية للمرة الثالثة وصدقت وزارة المعارف على ذلك التعيين.

وقد زاول الدكتور طه حسين نشاطه العلمى فى كلية الآداب، وكانت أول رسالة علمية ناقشها بعد عودته إلى الجامعة هى رسالة ماجستير فى الأدب العربى وموضوعها " أبو تمام" واستمر طه حسين يشغل منصبه حتى مايو ١٩٣٩ ، وفى وزارة الأحرار الدستوريين اضطر إلى الاستقالة

من منصب العميد لظروف سياسية، وانتدب مراقبا للثقافة فى وزارة المعارف مع بقائه يلقى دروسا فى كلية الآداب واستمر على ذلك حتى فبراير١٩٤٣، وفى أكتوبر من نفس السنة انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية، ولما كان القصر الملكى لا يستريح لتولى الدكتور طه حسين هذا المنصب عينوا أحد رجال القصر (صادق جوهر) سكرتيرا عاما للجامعة حتى يراقب الدكتور طه حسين ويستفزه . فما أن استفز السكرتير العام مدير الجامعة حول بعض الإجراءات حتى ناداه الدكتور طه قائلا فى حدة: "ما أنت ألا كبيرا للكتبة!". وكان طه حسين يخشى من خطر البيروقراطية التى تزحف إلى الجامعة.

ولما عاد الوفد إلى الحكم وعين طه حسين وزيرا للمعارف فى ١٣ يناير ١٩٥٠ شهد التعليم الجامعى فى عهده نهضة كبيرة، فتم إنشاء "جامعة ابراهيم باشا الكبير"عين شمس الحالية، كما أنشئ كرسى للتاريخ الحديث، وكرسى للغات السامية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (القاهرة)، كذلك أنشأ الدكتور طه حسين مجلسا أعلى للجامعات فى وزارة المعارف برئاسته وعضوية مديرى ووكلاء الجامعات، وعميد الكلية المختص عن المسائل المتعلقة بكليته.

واهتم الدكتور طه حسين بمرتبات أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة، فتم ربط كادر الجامعة بكادر رجال القضاء والنيابة.

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ظهرت آراء تطالب بتعديل نظام الجامعات فى مصر، ونادى البعض بادماج الكليات المماثلة فى الدراسة بالقاهرة لتصبح كلية واحدة فتدمج كلية الحقوق فى جامعة عين شمس مع نظيرتها فى جامعة القاهرة، وتدمج كلية التجارة فى جامعة القاهرة مع نظيرتها فى جامعة عين شمس.. وهكذا ، ولكن الدكتور طه حسين تصدى لهذه الآراء بالمعارضة، وأعلن رأيه على صفحات جريدة الجمهورية، وطلب من وزير التربية والتعليم –وكان كمال الدين حسين فى ذلك الوقت–

التأنى فى تعديل نظام الجامعة، واستشارة الخبراء قبل ادخال أى تنظيم جديد، وكان من رأى الدكتور طه حسين ترك الكليات كما هى دون إدماج، لأن ذلك النظام هو المعمول به فى جامعات الشرق والغرب، كما عارض بشدة فكرة إلغاء بعض الأقسام فى الكليات.

وزاول الدكتور طه حسين عمله فى كلية الآداب جامعة القاهرة أستاذا غير متفرغ حتى ٤ يوليو ١٩٦٢ عندما استقال لمرضه لكنه لم يقطع صلته بالجامعة، إذ ظل طلابه الذين أصبحوا أساتذة أوفياء له يشركونه فى مناقشة العديد من المسائل الخاصة بالجامعة والتعليم الجامعى للاستفادة من خبراته العلمية الواسعة.



الفصل الثانى

دور مؤلفات طه حسين وكتاباته فى حركة التنوير

ترك طه حسين للمثقفين حوالى ستين كتابا لم يقرأها وإن كان قد أملاها كلمة كلمة، ويالة من قدر عجيب وغريب ، فقد كان لديه شغف عجيب بان يرى بالعقل والبصيرة كل شئ، وان يعبر الحرمان، ويتحدى القدر ووفقا للترتيب التاريخى لمؤلفات طه حسين فإن دراسته الأولى كانت "ذكرى أبى العلاء" التى قدمها إلى الجامعة المصرية للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٩١٤ والتى عرض فيها لحياة أبى العلاء الذى كان بينه وبين هذا الرجل تشابه حيث حرم كلاهما من نعمة البصر، وفيها لم يذعن لما درج عليه السابقون من آراء وما ساقوه من أحكام، ولم يستسلم لما تعارف عليه معاصروه من طرائق البحث وأنماط التأليف ومن ثم كان أول كتاب فى الأدب العربى يدرس بيئة الأدب وشخصيته ، والمؤثرات التى اعتملت فيه، وعلى هذا النهج صدر كتاب "ذكرى أبى العلاء" فى عام ١٩١٥ ثم توالت بحوثه ودراساته ففى عام ١٩١٨ ينتهى طه حسين من إعداد رسالته للدكتوراه فى جامعة السربون عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وقام الأستاذ محمد عبد الله عنان بترجمتها ونشرها فى عام ١٩٢٥ تحت عنوان " فلسفة ابن خلدون الاجتماعية " ويذكر طه حسين فى أسباب اختياره لهذا الموضوع أن تاريخ آداب اللغة العربية يضع ابن خلدون فى مقدمة العلماء الذين يتميزون بالابتكار الخارق ومع ذلك فقد قام بنقده نقدا علميا منصفا، ورد على الذين يرون فيه أبا لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

وفى الفترة من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٥ يصدر طه حسين أربعة كتب فى التاريخ اليونانى الرومانى وهى" الظاهرة الدينية عند اليونان"، "وصحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان"، والتى ربط فيها بين

الأحوال فى كل من مصر واليونان خلال هذه الفترة، و"قادة الفكر" الذى تعرض لتاريخ العقل الانسانى وما اعترضه من ضروب التطور والرقى حتى انتهى إلى حيث هو الآن كما تعرض لبعض عظماء المفكرين من اليونان والرومان ممن كان لهم أثر فى تطور الفكر والحضارة أمثال سقراط ، والإسكندر وأرسطاطاليس، وسوفكليس، وقيصر وغيرهم، و"نظام الآثينيين" الذى أراد أن يقدم فيه طه حسين مفهوما واضحا لمعنى الديمقراطية التى كانت قد أصبحت هدفا من أهداف الحياة السياسية المصرية وقد صرح بذلك فى مقدمة الكتاب بقوله: " والكتاب كما هو أحسن صورة موجودة تمثل الحياة السياسية اليونانية، وهو مع ذلك صورة حية لنشأة الديمقراطية واستحالتها ورقيها قليلا قليلا حتى تصل إلى اقصى ما يقدر لها من النمو وسعة السلطان".

ويرجع أسباب اهتمام طه حسين بهذه الدراسات ان الفكر اليونانى والفكر الأرسطى بوجه خاص كان عمدة أنصار العقل، فذهب طه حسين إلى الفكر اليونانى كأديب يغلب عليه طابع الفكر يضاف إلى ذلك أن الجامعة كانت قد عهدت إلى طه حسين تدريس مادة التاريخ القديم ، فاختار التاريخ اليونانى والرومانى ومن ثم قام بتأليف هذه الكتب التى عرض فيها على طلابه موضوعات فى تاريخ اليونان وأدبهم بأسلوب لا يمكن ان يكون إلا ثمرة التقاء الثقافة اليونانية بالثقافة العربية كما عرض عليهم صحفا مختارة من الشعر اليونانى، وكأنما يريد أن يفتح الباب على مصراعيه للموازنة بين الأدب المصرى القديم والأدب اليونانى الذى يدرسه لطلابه بين أروقة الجامعة والذى يتشابك بقوة مع نسيج حياتنا المعاصرة ولم يلبث حزب الأحرار الدستوريين أن يصدر صحيفته اليومية السياسية ويختار طه حسين محررا أدبيا لها فينشر بها كل أربعاء مقالا فى الشعر العربى، ويتخذ من شعراء العصر العباسى الأول موضوعا لمقالاته ، فيدرس هؤلاء الشعراء درسا تاريخيا منظما، كما يدرس عصرهم وبيئتهم دراسة متكاملة.

وفى عامى ١٩٢٥، ١٩٢٦ ينشر طه حسين الجزءين الأول والثانى من "حديث الاربعاء" والذى كانت مجلة السياسة تنشرها له على شكل عمود ثقافى متخصص به جدال عنيف بين القديم والجديد، والذى كان مثارا لجدل عنيف وخصومة خصبة لها فى تاريخ الأدب العربى الحديث آثار هامة . وبعد ان تحولت الجامعة القديمة إلى جامعة حكومية عام ١٩٢٥ ويصبح طه حسين أستاذا لآداب اللغة العربية، فيعنى بدراسة الشعر الجاهلى ويصدر "كتابا" فى الشعر الجاهلى فى عام ١٩٢٦ والذى كان مثار جدل عنيف، أفسح فيه المجال لكل النظريات، مما أدى إلى قيام القيامة على هذا الكتاب وصاحبه وكان بمثابة الشرارة التى أثارت ضجة هائلة انتقل صداها من البرلمان والصحافة ووزارة المعارف إلى النيابة ، وانتهى الأمر بسحب هذا الكتاب من الأسواق، ثم أعيد طبعه فى عام ١٩٢٧ تحت عنوان "فى الأدب الجاهلى" بعد أن تم تعديل الآراء التى تتعارض مع الدين، وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذا الكتاب كان مولدا لمنهج جديد طبقه طه حسين على الأدب العربى، وتمسك به ، وكان ثمرته مؤلفات عديدة فى الأدب الحديث، أما مقالات الأيام التى نشر الهلال الجزء الأول منها فقد جمعت فى كتاب صدر فى عام ١٩٢٩ وهى ترجمة حياة طه حسين ، وفيها يشعر القارئ أنها حديث من يحدث نفسه ، وقد خلا بها يناجيها فتحدث عن القرية ودنياها ومأساته التى تعرض لها فى لغة لا يعدل بلاغتها غير بساطتها، وفى صدقه المطلق فيما يرويه عن قريته وأهلها.

ففى الأيام تلتقى بطفل عاجز تزدريه العين، وتمزق أحزانه وتخاف عليه من العفاريت، ويجثم فوق الصدور الظلام المخيم الذى كتب على هذا الصغير وهو يأكل طعامه الخشن، ويجاور فى الأزهر، ومع ذلك يغازل الأمل ويتسلل إلى أول جامعة مصرية ليحصل على الدكتوراه عام ١٩١٤ ثم يسافر إلى فرنسا لاستكمال دراسته بصبر وإصرار، ومن ثمار المقالات التنويرية لطه حسين دراسته عن "حافظ وشوقى" التى صدرت فى كتاب

عام ١٩٣٣ وهو دراسة عن شاعرى مصر الكبيرين أحمد شوقى وحافظ ابراهيم وفيها يوضح عميد الأدب العربى رأيه بصراحة فى كلا الشاعرين فيرى أن شوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير نفسية الشعب وآلامه وآماله، ولم يتقن ما أتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير هذا الإحساس، ومع ذلك فهو أخصب من حافظ طبيعة وأغنى منه مادة وبصيرة ، وأسبق منه إلى المعانى، وكانت هذه الدراسة قد نشرت كمقالات فى صحيفة السياسة والمقتطف والهلال ما بين سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣٢.

ومن ثمار المقالات التنويرية لطه حسين أيضا كتابه " فى الصيف" التى تم جمعها ثم صدرت فى كتاب عام ١٩٣٣ وهى مجموعة رسائل كتبها من أوروبا إلى صحيفة السياسة، كما تم نشر الجزء الأول من كتاب " على هامش السيرة" وكان عبارة عن مقالات نشرت فى مجلة الرسالة وفى الأعوام من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٦ أصدر طه حسين روايته " دعاء الكروان" التى صاغها بطريقة تقوم على التوجيه المباشر لما يدور بين الناس من أحاديث حول ضرورة الاصلاح وأصدر كتاب " أديب" الذى تحدث فيه عما تعرض له من ظلم عندما تم فصله من الجامعة نتيجة للأهواء السياسية ثم عودته إليها كما يرسم صراع الانسان مع نفسه ذلك الصراع بين ما يريد الإنسان أن يكون وبين ما يستطيع أن يكون، وكيف يدور الصراع بين آمال الانسان وبين طموحه ونزعات نفسه.

هذا إلى جانب كتابه الحياة الأدبية فى جزيرة العرب، وهو الذى تغير اسمه بعد ذلك إلى "ألوان" لأنه دراسات تعمق واستقصاء لألوان مختلفة من الأدب على تباعد العصور وتباين الأجيال، ينتقل صاحبها بالقارئ من الأدب العربى إلى الآداب الأجنبية على اختلافها، وفيه استقصاء لحياة الأدب العربى فيما مضى من الزمان، ومقارنات بين طائفة من أدباء

العرب، وطائفة أخرى من الأدباء الأجانب، وموازنات بين الأحداث فى تاريخ الرومان والمسلمين وما كان لها من أثر فى حياة الفن والأدب.

وفى عام ١٩٣٦ أيضا جمع الدكتور طه حسين المحاضرات التى ألقاها فى مختلف الظروف والمناسبات الأدبية والتى تعلن عن رأيه الصريح فى قيمة الأدب العربى القديم خلافا لما يأخذ عليه المعارضون الذين كانوا يتهمونه بأن تجديده للأدب يقوم على إنكار القديم بالمرة. أن هذه المحاضرات التى جمعها تحت عنوان: " من حديث الشعر والنثر" تؤكد من جديد حقيقة مؤداها أن الدكتور طه حسين فى مقدمة من دعموا الأدب العربى الأصيل القديم وحببوه إلى النشئ الجديد. فمن المقارنات اللطيفة بين الأدب العربى والآداب العالمية قوله فى هذا الكتاب " ان النهضة الأولى التى ظهرت فى القرن الثامن عشر فى أوروبا إنما هى نتيجة اتصال أوروبا بالعرب فأدبنا هو الذى أحيا العقل الأوروبى حتى جاءت النهضة الثانية التى اتصل فيها الأدب الأوروبى بالأدب اليونانى القديم، فلو لم يكن للأدب العربى من أثر فى هذه الفترة . فإنه قد حمل لواء الأدب الانسانى والعقل الإنسانى فى عشرة قرون وهذا يعد كافيا للاعتراف بأن هذا الأدب من الآداب التى تعتز بنفسها وتستطيع أن تثبت لصروف الزمن. أنها من الآداب التى أثرت فى البشرية بشكل واضح

وفى عام ١٩٣٧ يصدر طه حسين كتابه المتنبى بمناسبة مرور ألف عام على ذكراه فغاص فى شعره يدرسه ويدرس مراحل حياته.

وفى عام ١٩٣٨ يصدر طه حسين كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" وذلك فى الوقت الذى كان فيه محور المستقبل هو المسيطر على الكتابات التى أنتجها العقل المصرى وفى الوقت التى كانت الشواهد بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ تدل على التفاؤل ببشائر الخلاص من الاحتلال، وضرورة تحديد الاتجاه الذى سيكون عليه مشروع مصر الثقافى للمستقبل، والذى رأى فيه

طه حسين ضرورة ارتباط مصر بثقافة البحر المتوسط والأخذ بالديمقراطية الغربية فى السياسة والتعليم والاقتصاد حتى يتحقق الاستقلال الحقيقى عن الغرب، مؤكدا أن هذا الاستقلال لا يتحقق إلا باتباع أسلوب الغرب نفسه وفى عام ١٩٣٩ يصدر طه حسين الجزء الثانى من الأيام الذى تعرض فيه لحياته وما تعرض له فيها من متاعب.

وفى الأعوام من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٧ يصدر طه حسين الجزء الثانى من كتابه " على هامش السيرة " الذى تحدث فيه عن القديم والجديد موضحا أن "القديم لا ينبغى أن يهجر لأنه قديم، والجديد لا ينبغى أن يهجر لأنه جديد، والجديد لا ينبغى أن يطلب لأنه جديد، وإنما يهجر القديم إذا برئ من النفع، وخلا من الفائدة ، فإذا كان نافعا مفيدا فليس للناس أقل حاجة إليه منهم إلى الجديد".

وهكذا تصبح الفائدة ، ويصبح النفع أساسا للحكم على القيمة وهو حكم عملى يربط بين الفكر والواقع ، وبين العقل والعمل ويؤكد أن فكر طه حسين كان فكرا عمليا واقعيا.

وإلى جانب ذلك فقد أصدر طه حسين "فصولا" من النقد والأدب وتناول فيه أعمال العقاد وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وغيرهم، كما صدر له ، أحلام شهرزاد، وشجرة البؤس، وجنة الشوك، والجزء الأول من الفتنة الكبرى (عثمان).

أما فى عام ١٩٤٨ فيصدر طه حسين كتابه " المعذبون فى الأرض" الذى نشرته مجلة الكاتب المصرى على حلقات وقدمه طه حسين بقوله " إلى الذين يحرقهم الشوق إلى العدل، وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل، وإلى الذين يجدون مالا ينفقون وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون يساق هذا الحديث".

والكتاب بغير شك تعبير عن الصراع الاجتماعى الذى كان محتوما فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها وهو فى مضمونه العام ، وأثره النهائى دعوة إلى التغيير الاجتماعى، وإن سيطر عليه الجانب الإصلاحى، كما أنه كتاب إنسانى فى دعوته وهدفه ونتيجة لما فى هذا الكتاب من نقد لاذع للأوضاع القائمة فى مصر وقتذاك، وتبصير للمصريين بحقائق أمورهم فقد قامت الحكومة بمصادرته فطبع فى بيروت ولم يسمح بنشره فى مصر إلا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.

ويوالى طه حسين إصدار مؤلفاته ففى عام ١٩٤٩ يصدر كتابه "مرآة الضمير الحديث" وفيه حدد المعالم الأساسية لأفكاره عامة فيقول: " إن تغيير الأشياء لا يكون بالكلام الذى يقال عن اخلاص او تكلف، وعن تفكير أو اندفاع وإنما يكون بالعمل الذى ينقل الأشياء من طور إلى طور.. فالعمل وحده هو الذى يستطيع أن يرضى القلب الذكى ، ويزيد البصيرة نفوذا إلى نفوذ" بهذا الفهم العميق يلائم طه حسين بين الحياة العقلية والحياة العملية، وبهذا الفهم تتحدد معالم حياته وفكره على السواء، وفى هذا الكتاب يتحدث طه حسين عن الفن على أساس ان الحرية هى جوهره ، وأنه أثر من آثار الأحرار لا من آثار العبيد، ونجده يدعو لتحرير الشباب من البؤس والجوع حتى تتوفر له أسباب الإبداع، فالحرية عنده هى الخبز وهى الثقافة والهواء والنور والجمال، وفى عام ١٩٥٠ يصدر " الوعد الحق" مبينا أن الدعوة إلى العدل هى أساس الاسلام وفى عام ١٩٥٢ يصدر كتابه "ألوان" الذى يتحدث فيه عن الأدب العربى بين أمسه وغده ، وعن الحياة الأدبية فى جزيرة العرب وبعض الموضوعات المتنوعة، وفى عام ١٩٥٣ يصدر طه حسين الجزء الثانى من "الفتنة الكبرى " "على وبنوه" وفى السنوات من عام ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩ يصدر كتبه " نقد وإصلاح" وهو مجموعة مقالات كانت قد نشرت فى الجمهورية ، و"رحلة الربيع والصيف"، ومن أدبنا

المعاصر"، و "مرآة الإسلام"، و "أحاديث" أما "الشيخان" (ابو بكر وعمر) فقد صدرا فى عام ١٩٦٠.

هذه أمثلة ونماذج لأعمال طه حسين، والتى ترجمت فى معظمها إلى العديد من اللغات الأجنبية. وهكذا أسدى طه حسين للمكتبة العربية العديد من الذخائر التى يتمثل فيها البعد الاجتماعى ، ففى كتبه يربط الأحداث والشخصيات والأفكار بأبعادها الاجتماعية ابتداء من مسيرة حياته فى "الأيام" إلى أعماله القصصية والتاريخية على تباينها يأخذ نفسه بتصوير آفاق الحياة سواء ما شاهدها فى صعيد مصر أو فى الأزهر كمجاور فقير وطالب علم مكافح أو فى الأحياء الراقية بعد أن أصبح استاذا جامعيا وأديبا ورائدا من رواد الفكر وإلى جانب ذلك فقد استطاع طه حسين فى مؤلفاته إخراج الدراسات الأدبية من طورها القديم إلى صور حديثة، بحيث أصبحت لا تقل إمتاعا عن مثيلاتها فى الآداب الغربية، كما كانت محاضراته لطلابه بالجامعة تعنى بدراسة تاريخ الأدب العربى على طريقة الأوروبيين فى دروسهم وآدابهم بحيث تقوم على الموازنة بين الأدب العربى والآداب العالمية الكبرى. وعلى هذا النحو وضع طه حسين لنفسه ولمدرسته الأصول التى ينبغى أن يسيروا عليها فى دراستهم الأدبية.

وبذلك كله استطاع طه حسين تاصيل الدراسات الأدبية العلمية وتشجيع شباب الباحثين على الإقبال عليها، ونتيجة لذلك بدأت هذه الدراسات تنشط فى الجامعات بعد أن غرسها طه حسين بمحاضراته ومقالاته ومؤلفاته فكانت ثمرة طبيعية لأصول البحث الأدبى، مما يجعله بحق الرائد الموجه للنهضة الأدبية ولحركات التنوير، والشخصية الفريدة بين الكتاب التى اجتمعت فيها صورة عصرها بأخص ما فى هذا العصر من العناد والجهاد، والتى تجمعت فيها الفوارق والنقائض، فقد كسب لقراء العربية أفكارا، وابتدع فنا، وصاغ أدبا، وكشف منهجا وطريقة تحليل ، وخلال ذلك عانى

كثيرا من الجهد ، فكانت حياته جهادا ونضالا من أجل منهجه الفكرى الذى استطاع أن يطبقه على الأدب العربى القديم والحديث، بل وقد طبقه فى حياته ومسلكه الفكرى، فكانت دراساته فى جوهرها أفكار فى مواقف، ورأى فى تطبيقها، فطه حسين بغير شك ليس فقط شاعرا وأديبا وعالما وفيلسوفا وإنما هو فى جوهره مفكر عملى، فأدبه يغلب عليه الطابع الفكرى العملى، وهو فى جوهره فكر فى موقف، ورأى فى تطبيق. كل هذه النماذج التنويرية وغيرها من كتابات طه حسين تدلنا على مدى تاثير فكره التنويرى فى المجتمع المصرى الذى دعا فيه إلى نوع من التغير الاجتماعى بتوسيع قاعدة التعليم فى صفوف المجتمع.

الفصل الثالث
أثر طه حسين
فى تنوير الفكر المصرى الحديث

قام الدكتور طه حسين بدور رئيسى فى تنوير الفكر المصرى الحديث الذى يجعل من العقل الانسانى حاكما فى أمور الحياة، ويضفى النور على البصائر والقلوب لتحقيق الإنسان المثالى فى المجتمع الإنسانى وقد حمل طه حسين هذا العبء على أكتافه لمدة تزيد على الأربعين عاما فعمل على تنوير الفكر المصرى وتوجيه المصريين نحو تجديد الثقافة المصرية، والمشاركة فى تنمية الثروة الانسانية فى العلم والثقافة الحديثة، كما وقف مع الحرية بأجلى معانيها فدافع عن حرية الصحافة واستقلالها وحرية التعبير عن الرأى الذى تتبلور فيه أزكى نفحات النهضة المصرية الحديثة من دعوات وهتافات فى الوطنية والسياسة وفى العلم والدين وفى الثقافة والأدب، وأضاء منار الحرية الفكرية وحمل لواء التقدم ووقف ضد الاضطهاد السياسى ، ودافع عن حرية الجامعة واستقلالها وكان أول من دعا إلى دخول الفتيات الجامعة والالتحاق بكلياتها أسوة بالرجال ، وكان صاحب فكر مستقل كما كان حجر الزاوية فى الفكر العربى، ونموذجا لقوة الإرادة والتحدى فى وقت احتدم فيه الصراع الوطنى والاجتماعى بين اليمين واليسار وكانت حاجة البلاد ماسة إلى تغيير اجتماعى عميق، وعمل وطنى علمى منظم. فخاض معارك كثيرة ضد كل الذين يريدون شد عجلة التاريخ إلى الوراء، وأن يوقفوا سير الأمة المصرية فكانت كتاباته تدعو إلى الأسلوب الإنسانى المفعم بعلاج مشكلات الحياة دون عنف أو إراقة دماء فكتب "المعذبون فى الأرض"، و "دعاء الكروان" وساير الأسلوب الذاتى جاعلا من حياته مثالا للأجيال الصاعدة فى الصمود أمام التحديات والصعاب فكتب " الأيام" وكتب "أديب" كما ساير الأسلوب الخيالى فكتب "

الوعد الحق" و"أحلام شهر زاد" واستعان بالإسلاميات فكتب " مرآة الإسلام" ، و "الشيخان" و "الفتنة الكبرى" وغيرها وفيها أحسن فهم تصوير أمجاد المسلمين الأوائل الذين شيدوا الحضارة كما أضاف لتراثنا الإسلامى رؤية جديدة وعميقة أكدت على مبادئ الإسلام فى العدالة الاجتماعية والمساواة بشكل نقدى يتسم بالتحليل التاريخى، ويرجع إلى الأسلوب الثائر على القديم مثل كتابه " فى الشعر الجاهلى " كل ذلك جعله شامخا بين عمالقة دعاة التنوير، وكانت كتاباته إشعاعا وخلودا للفكر المصرى المعاصر، فكان أصدق صورة لعصر ما بين الحربين الذى ارتطمت فيه تيارات فكرية عارمة، وكانت مصر خلالها تبحث عن كيانها، وتنقب عن أصلها وسط مناقشات حامية الوطيس حول الشرق والغرب والقبعة والطربوش، والقومية المصرية والجامعة الإسلامية وفكرة الأمة وعلاقة الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات العالمية وحوض البحر المتوسط وبتراث الإغريق والرومان، وكان طه حسين خلال ذلك شديد الولاء لمصريته، فطالب بإنشاء دولة عصرية على أساس قومى وليس على أساس دينى، فالوطن فى مفهومه شئ آخر غير الدين، ويجب فصل الدين عن الدولة، والأخذ بفكرة الدولة المدنية العصرية، والإيمان بالعقل وإلى جانب ذلك كان شديد الوفاء للجماهير المصرية الفقيرة التى تتمثل فى غالبية الشعب المصرى الساحقة . وقد كابد كل ذلك بنفسه وكتابه " المعذبون فى الأرض" يعد أبرز شاهد على ذلك كما أن كتابه " الأيام" الذى يبين قصة كفاحه وحياته بشكل هز وجدان جميع المصريين وكيانهم كان مثالا على ذلك، حيث استطاع طه حسين إثبات وجوده منذ صباه، والخروج من العزلة المفروضة عليه، وبأنه صاحب عقل ورأى يتفوق بالحجة والعقل والجهد وفيما يلى نعرض لبعض جهوده فى مجال التنوير:

١ – طه حسين ومستقبل الثقافة فى مصر:

نتيجة للتخبط حول هوية مصر القومية كتب طه حسين "مستقبل الثقافة فى مصر عام ١٩٣٧" بعد إبرام معاهدة الصداقة بين مصر وبريطانيا عام ١٩٣٦ وجعله برنامجا للإصلاح المطلوب، ونظر للمستقبل نظرة المتفائل بعد أن لاحت أمامه بشائر الخلاص من الاحتلال البريطانى، فاعتبر تصريح ٢٨ فبراير رغم ما فيه من تحفظات، كما اعتبر معاهدة ١٩٣٦ الطريق إلى الاستقلال الكامل، فقال طه حسين فى هذا الكتاب إن الحرية والاستقلال اللذين يتطلبهما المصريون ليسا غاية وإنما الغاية هى الحضارة التى تقوم على الثقافة والعلم وهى القوة التى تنشأ عن الثقافة والعلم ، وهى الثروة التى تنتجها الثقافة والتعليم فكان العلم إذن هو الوسيلة إلى كل ما يتوخاه المصريون من حضارة وقوة وغنى كما قرر فى ذلك الكتاب كذلك ان الديمقراطية التى كانت تتطلع أن تحيا مصر فى ظلها يمكن أن تكفل للناس حياة ، أما الحرية فلا يعيشها الناس إلا إذا كفلت لهم الدولة تعليما يتيح لهم الحياة ويتيح لهم الحرية.

ومعنى ذلك أن طه حسين كان يرى ان التعليم هو مفتاح الحياة والحرية، وأنه ضرورى للناس ضرورة الماء والهواء فانتشر التعليم انتشارا واسعا بفضله، فكرس نفسه لانفتاح المدارس وإعداد الميزانية اللازمة لها، ووضع البرامج اللازمة لعملية التعليم، وكان العلم هو وسيلته لقيام العدل الاجتماعى.

لقد كان طه حسين يحلم بمجتمع يتكامل أبناؤه ، ويساهم كل جيل من أجياله فى سعى الأمة لاستعادة مكانتها فى الصدارة فى مسيرة الحضارة، ولكن تداعيات الاحتلال وقيام الحرب العالمية الثانية أديا إلى إضعاف الأمل فى المستقبل نتيجة للقضاء على الطابع الليبرالى لأنظمة الحكم فى مصر، بحجة التصدى لاسرائيل التى كان وجودها سببا فى انكماش مشروع النهضة وجمود الفكر المتفتح والمستنير.

لقد كان المفهوم الأساسى الذى تبلورت عليه أفكار طه حسين هو ضرورة تحديد الاتجاه لمشروع مصر الثقافى، وكان يرى أن العقلية المصرية ترتبط بعقلية البحر المتوسط أكثر من عقلية شبه الجزيرة العربية لذلك يجب تحقيق الاتصال بين الشرق والغرب.

وظروف تأليف هذا الكتاب تعود إلى الإجابة عن سؤال كان قد وجهه بعض الشباب إليه بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦، فيكتب طه حسين هذا الكتاب للإجابة عن هذا السؤال الكبير "ما هو واجبنا الثقافى بعد تحقيق استقلالنا السياسى؟"، وكانت الإجابة واقعية وعملية وهى أنه ليس المهم الاستقلال والحرية، وإنما المهم ما يتضمناه من تبعات، وهى تثبيت الديمقراطية والمحافظة على الاستقلال وفى هذا الكتاب يؤكد طه حسين أن الحرية لا تستقيم مع الجهل ويربط بين الثقافة والحرية، وبين التعليم والثورة على الظلم فيقول: " يجب أن يتعلم الشعب إلى أقصى حدود التعليم فى ذلك وحدة الوسيلة إلى أن يعرف الشعب مواضع الظلم وإلى أن يحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويذلونه ويستأثرون بثمرات عمله.

لقد انتقى طه حسين من أوروبا خلاصة عصر النهضة التى تربط جذورها الثقافية بالثقافة الإغريقية التى تهتم بالفكر الإغريقى على أساس أنها شديدة الاهتمام بمشاكل الإنسان فدعا إلى تعلم اللغتين اليونانية واللاتينية، ونقل الفكر اليونانى والتراث والمسرح الإغريقى، وخلاصة الفكر الأوروبى إلى مصر، وأن على مصر أن تأخذ بأسباب هذه الحضارة، وأن تكون ثقافتها امتدادا لهذا النهج، وذلك الفكر، مع المحافظة على واقعنا المصرى والتوسع فى إدخال مناهج اللغة العربية والتاريخ والدين.

كل ذلك جعل البعض يصف طه حسين بأن مسلكه العلمى والفكرى عبر مساره العريض الطويل يعد أحد روافد الثقافة المصرية التى ترعرعت فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وخاضت تجربة الحياة الدستورية ثم

راجعت نفسها وحولت مجراها لتساير المتغيرات المحلية والدولية حيث أدرك مطالب الأدب للحياة ، وضرورة تحريره من الجمود وبعثه إلى الآفاق الجديدة فى الفكر وفتح نوافذه على العالم وهكذا كان كتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" وثيقة هامة لإصلاح أحوال المجتمع المصرى الثقافية والفكرية.

٢ - طه حسين مؤرخا إسلاميا:

على الرغم من إعجاب طه حسين بالفكر الأوروبى فانه لم يهمل الفكر العربى والإسلامى فكتب أربعة كتب فى التاريخ والأدب الاسلامى وهى "على هامش السيرة" فى ثلاثة أجزاء، و "الفتنة الكبرى " وبها كتابان هما "عثمان"، و "على وبنوه" و "مرآة الاسلام" ، و "الشيخان" فصور السيرة النبوية فى صورة يسيرة طبيعية صادقة ، أراد بها ان يلقى فى نفوس الشباب حب الحياة العربية الأولى ويشوقهم إليها كما أراد ان يدفعهم إلى استغلال هذه الحياة فى الإنتاج العلمى والأدبى وقد عالج طه حسين موضوع "الفتنة الكبرى" التى تعرض فيها الإسلام لمحنة شديده بطريقة موضوعية استطاع خلالها أن يشق طريقه بين الصعاب كلها، ويثبت بالحقائق ما حاكه الأعداء بالمسلمين لشق صفوفهم وفى حديثه عن "مرآة الإسلام" فقد تعرض طه حسين للإسلام فى أطواره المختلفة، وأملى رأيه فى ضوء وعيه ليفيد الناس بتجربته وعلمه .

وفى حديثه عن الشيخين أبى بكر وعمر فقد قدمهما فى شكل موضوعى واضح، وهكذا أَرَّخَ طه حسين فى التاريخ الإسلامى فقدم سيرة الرسول ثم الخلفاء من بعده بشكل أَرَّخَ فيه للاسلام ليستمد منه البراهين المختلفة على أنه ثورة اجتماعية ضد الظلم المادى، وأثبت أن الدعوة إلى العدل أساس من أسس الاسلام، وان الإسلام دين يدعو إلى الثورة الاجتماعية بغية تحقيق العدالة الاجتماعية.

لقد كانت حرية الفكر العلمى هى السمة المرتبطة بطه حسين فبرز مفكرا وباحثا وأديبا، وخاض السياسة فى أضرابها، وهو فى كل ذلك مصرى يبحث عن مصريته سواء فى عمله كأستاذ وعميد فى كلية الآداب بالجامعة المصرية أو وزير للمعارف حيث رفع لواء المساواة والحق وجعل العلم لكافة المصريين وقال قولته المعروفة التعليم ضرورة للانسان وحق أساسى مثل الماء والهواء لقد كان التعليم فى وعى طه حسين هو جواز مروره الأول من صفوف العامة إلى صف النخبة، كما كان التعليم يعادل عند طه حسين كسب المعرفة بالوطن وتاريخ وحرية المواطن وقدرته على ممارسة حقوقه ، وكسب مناهج التفكير وأساليب السلوك وطرق العمل التى تكفل تقدم الوطن وإنمائه.

٣ – طه حسين والمرأة:

لقد دافع طه حسين عن سفور المرأة وتحريرها من الحجاب وإن كان قد وضع أمامها بعض المحاذير المرتبطة بالدين فكتب مجموعة من المقالات عام ١٩١١ ذكر فيها أنه لا فرق بين المرأة والرجل فى الحرية وكلاهما مأمور بمكارم الأخلاق منهى عن مساوئها، محظور عليه أن يتعرض لمظان الشبه. فالمرأة لا تخلو لأجنبى ولا تسافر وحدها، ولا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، ولها بعد ذلك أن تفعل ما تشاء من غير إثم ولا لغو، لها أن تطرح النقاب وترفع الحجاب، وتتمتع بلذات الحياة كما يتمتع الرجل. وليس عليها إلا أن تقوم بما أخذت به من الواجب لنفسها وزوجها والنوع الانسانى كافة وهذا الراى فى وقته أى منذ أكثر من مئة عام يعتبر تقدميا لذلك عارضه مجموعة من المحافظين كان على رأسها الشيخ عبد العزيز جاويش أحد زعماء الحزب الوطنى. وإلى جانب ذلك فإن طه حسين هو أول من عرض على لطفى السيد مدير الجامعة قبول الطالبات، وكانت كلية الآداب اثناء عمادته لها أول كلية تفتح أبوابها

للطالبات، وأول كلية تدخل ضمن هيئة تدريسها سيدات مما كان له أثره الذى لم يجرؤ على حمل لوائه سوى طه حسين.

٤- طه حسين شاعرا:

كتب طه حسين قصائد شعرية فى مناسبات مختلفة فكتب قصيدة عام ١٩٠٩ يدافع فيها عن استقلال مصر مخاطبا الإنجليز، قائلا:

تيمموا غير وادى النيل وانتجعوا
فليس فى مصر للأطماع متسع
كفوا مطـــامعكم عنـــا، أليس لكم
مما جنيتـــم وما تجنونه شبع؟

وفى قصيدة أخرى قالها بمناسبة حلول العام الهجرى :

كن أنت بعد أخيـــك خيـــر هلال
وأضئ لمصر سبيل الاستقلال
أشرق وحدث مصـــر عن آمالها
ماذا صنعـــت بهـــذه الآمال
أمصدق فيـــك الظنـــون وناظـــر
للنيـــل نظرة مانـــح وصال؟
ومبدد عن مصر بعض همومهـــا
فلقـــد أضربها أخوك الخالى
أغرى الخطوب بها وأمطر أهلها
ومن ريبهـــن بوابـــل هطال

وإلى غير ذلك من النماذج الشعرية التى تعتبر علامة تاريخية فى أدبه، والتى يتضح منها أن موهبته كشاعر تختلف كل الاختلاف عن موهبته كأديب وكاتب.

وهكذا استطاع طه حسين بكتاباته أن يكون رائدا من رواد التغير الاجتماعى الذى يلتقى مع معانى التغيير الفكرى من خلال المصالح الأساسية للشعب المصرى، فغزا ميادين العلم والفن ، وأرسى دعائم نهضة قوامها التحرير من قيود التقليد وقتل روح التطور، وشارك فى الحياة الأدبية من حيث هو مفكر ورائد وصاحب مدرسة تأثرت بها الأجيال وكان شعارها التنويرى " تشجع وفكر بنفسك" لقد حبب طه حسين الأدب إلينا، وصار لا غنى عن قراءته للمثقفين، كما أن دوره فى حركة التنوير كانت بالغة الأثر واسعة المدى ، مما جعله دائما أحد المعالم الحضارية فى مصر.

خاتمـــــة

هكذا كانت المسيرة العلمية لطه حسين وقصة كفاحه ذلك الفتى الذى جاء من أعماق صعيد مصر، وانضم إلى الأزهر ثم إلى الجامعة المصرية، فكان أول من حصل على الدكتوراه منها ، وبذلك جمع فى شخصه بين الشيخ والدكتور، واستطاع أن يلائم بين نشاطين من ضروب النشاط الذهنى للانسان، وأضاف إلى ثقافته الإسلامية الثقافة الأوروبية بالتحاقه فى جامعة من أهم جامعات أوروبا وهى جامعة السربون وحصوله منها على أعلى الشهادات العلمية وهى شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة، ثم عاد إلى مصر وعمل أستاذا فى الجامعة المصرية فكان له أثر واضح فى تطورها وازدهارها، فبفضله عرفت الدراسات العربية المنهج العلمى ، وبدأ المفكر العربى يعيد موقفه فى تراثه القديم ، كما تحققت الصلة الواضحة بين الحضارة العربية والحضارة الغربية ، وعرف الناس أنه لا يوجد حد فاصل بين الثقافة والمجتمع، وأنه لا نضارة للقديم إلا بالحديث كما تأصل مبدأ استقلال الجامعة، وحرية الرأى فيها.

ولقد كان طه حسين أسبق أهل جيله إلى رؤية المستقبل فبفضله عرفت الفتاة المصرية طريقها إلى الجامعة، كما ضرب المثل فى الشجاعة والصبر والمثابرة ، فبرغم العقبات التى واجهته حقق أكبر نجاح فى استيعاب العلوم التى درسها، وخرج منها بنظريات كان لها أكبر الأثر فى تطوير نظام التعليم فى مصر.

ورغم أن طه حسين تعرض لهجوم المحافظين فقد ظل صامدا متمسكا بأفكاره وآرائه حتى تبلورت فاتضح أنها تهدف إلى نوع من التغيير الاجتماعى فبفضله عرفت الملايين من أبناء الفقراء طريقهم إلى العلم الذى نادى بأن يكون للانسان بمثابة الماء والهواء.

وأخيرا وبعد حياة علمية وسياسية حافلة بالأحداث الجسام انتقل طه حسين إلى جوار ربه فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ عن عمر يناهز الرابعة والثمانين عاما.

المصادر

أولا: الوثائق :

أ – وثائق غير منشورة :

- دار الوثائق القومية بالقاهرة – ديوان جلالة الملك – التماسات جماعية محفظة رقم ٦، محفظة رقم ٧.
- محفوظات وزارة الخارجية البريطانية F.O بدار الوثائق العامة.
Public Record Office ٤٠٧.٢١٤ No . ٤٨٩

ب – وثائق منشورة :

- الجامعة المصرية : تقارير مجلس الإدارة المقدمة للجمعية العمومية :
١٩١٢ / ١٩١٣/ ١٩١٤/ ١٩١٥/ ١٩١٦/١٩١٨/
١٩١٩/١٩٢٠/١٩٢١
- الحكومة المصرية: أمر ملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٢٣.
- مجلس النواب: مضابط جلسات مجلس النواب. سبتمبر ١٩٢٦، مارس ١٩٣٢.

ثانيا: المذكرات :

- دار الوثائق القومية : مذكرات سعد زغلول، كراس رقم ٥٢.

ثالثا: المراجع العربية:

١ – أحمد الشايب : دراسة أدب اللغة العربية بمصر فى النصف الأول من القرن العشرين، القاهرة– الطبعة الثانية . النهضة المصرية ١٩٦٦.

٢– تشارلز آدمس: الاسلام والتجديد فى مصر– ترجمة عباس محمود، القاهرة ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٥.

٣- خيرى شلبى : (تحقيق وتعليق) محاكمة طه حسين، نص قرار الاتهام ضد طه حسين سنة ١٩٢٧ حول كتابه " فى الشعر الجاهلى" بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤- حمدى السكوت (الدكتور) ومارسدن جونز: أعلام الأدب المعاصر فى مصر. دراسة بيوجرافية نقدية بيلوجرافية، طه حسين ، القاهرة- الجامعة الأمريكية ، ١٩٧٥.

٥- سامح كريم : أ - طه حسين فى معاركه الأدبية والفكرية. القاهرة، ١٩٧٤.

ب- طه حسين يتكلم . القاهرة — دار المعارف ١٩٧٨.

٦- شوقى ضيف: أعلام الأدب المعاصر فى مصر ١٨٥٠- ١٩٥٠ القاهرة — دار المعارف ، ١٩٥٧.

٧- طه حسين:

أ - الأيام ، الجزء الثالث ، القاهرة — دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٣.

ب- تجديد ذكرى أبى العلاء، القاهرة- دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٥٨

ج - حديث الاربعاء، الجزء الثالث، القاهرة- دار المعارف، ١٩٥٢.

د - فى الأدب الجاهلى، القاهرة- دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة.

٨- عبد الرحمن بدوى (إشراف): إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين دراسات مهداه من أصدقائه وتلاميذه. القاهرة — دار المعارف، ١٩٦٢.

٩- عبد العزيز شرف (الدكتور): طه حسين وزوال المجتمع التقليدى . القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

١٠- عبد المنعم الجميعى (الدكتور): الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع . القاهرة — دار الكتاب الجامعى. الطبعة الأولى ١٩٨٠.

١١- محمد الخضر حسين: نقض كتاب فى الشعر الجاهلى، القاهرة د.ت.

١٢- محمد سعيد العريان: حياة الرافعي . القاهرة – مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٣- محمد عرفه : نقض مطاعن فى القرآن الكريم، القاهرة- مطبعة المنار، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

١٤- محمد سيد كيلانى : طه حسين الشاعر الكاتب، القاهرة، ١٩٦٣.

١٥- محمد لطفى جمعه : الشهاب الراصد. القاهرة د.ت.

١٦- محمد مهدى علام (الدكتور): مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما (المجمعيون) القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٦.

١٧- محمد نصر: صفحات من حياتهم. القاهرة – وزارة الثقافة والارشاد، ١٩٦٥.

١٨- مصطفى صادق الرافعى : تحت راية القرآن – المعركة بين القديم والجديد، القاهرة، مطبعة الاستقامة د.ت.

١٩- ناصر الدين الأسد (الدكتور): مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية، القاهرة- دار المعارف.

٢٠- وزارة التربية والتعليم : لمحات من تاريخ وزارة التربية والتعليم ممثلا فى أعمال وزرائها . الكتاب الثانى ، القاهرة، يوليو ١٩٥٩.

رابعا : المراجع الأجنبية :

١- Badawi, Zaki: The Reformers of Egypt , London , ١٩٧٨.

٢- Daniel Lerner: The passing of Traditional Society Modernizing the Middle East (lllinois) (١٩٦٤).

٣- Lioyd , Lord : Egypt Since Cromer. Vol. ١١, London , ١٩٣٤.

خامسا: الدوريات:

١- الاتحاد: مارس ١٩٣٢.

٢- الأهرام : فبراير، مارس ١٩٣٢، نوفمبر ١٩٧٣.

٣- البلاغ : مارس وابريل ١٩٣٢.

٤- الجمهور : ديسمبر ١٩٣٤.

٥- الجمهورية : أغسطس ١٩٥٥.

٦- السفور : نوفمبر ، ديسمبر ١٩١٥، ديسمبر ١٩١٩.

٧- السياسة : مارس ١٩٣٢، مايو ١٩٣٦.

٨- الشعب : فبراير ومارس ١٩٣٢.

٩- صحيفة الجامعة المصرية: أكتوبر ١٩٢٣ - يناير ١٩٣٢.

١٠- الكاتب: مارس ١٩٦٦.

١١- كوكب الشرق: سبتمبر ١٩٢٦، ديسمبر ١٩٣٤.

١٢- المقتطف : مايو ١٩٢٦، يناير ١٩٣٧.

١٣- المنار : مايو ١٩٢٦، ديسمبر ١٩٢٦، يناير ١٩٢٧.

١٤- الهلال : يوليو ١٩٤٧، فبراير ١٩٦٦.

١٥- وادى النيل :مايو ١٩٠٨.

المؤلف فى سطور

الاسم : أ.د/ عبد المنعم ابراهيم الجميعى

الوظيفة: استاذ متفرغ بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الفيوم.

١-المؤهلات العلمية:

- ليسانس آداب من كلية الآداب جامعة القاهرة دور يونيو ١٩٦٧.
- درجة الماجستير فى الآداب من كلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير ممتاز بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٢.
- درجة الدكتوراه فى الآداب (تاريخ حديث) من كلية الآداب جامعة عين شمس بتقدير مرتبة الشرف الأولى بتاريخ ١٩٧٩/١/٢٥.

٢-الوظائف التى شغلها وأبرز إنجازاته العلمية:

- رئاسة قسم التاريخ بكلية التربية.
- وكالة كلية التربية للتعليم والطلاب.
- يتولى حاليا منصب الأمين العام للجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- عضو اتحاد الأثريين العرب.
- يحمل العضوية الشرفية لجمعية المؤرخين المغاربة وقد شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية والدولية مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلس الأعلى للثقافة ومكتبة الاسكندرية وغيرها.
- سافر إلى الولايات المتحدة كأستاذ زائر فى الفترة من ١٩٨٢- ١٩٨٣.
- أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الفترة من ١٩٨٦ إلى ١٩٩١ وساهم خلال ذلك فى أنشطتها حيث قام بتأليف ثلاثة كتب عن منطقة أبها بجنوب المملكة السعودية التى كان فرع الجامعة يقع فى نطاقها.
- عمل مقررا للجان امتحانات ليسانس التاريخ على مستوى كليات التربية بالجامعات المصرية لمدة خمس سنوات.

– شغل عضوية اللجنة العلمية الدائمة للترقيات على مستوى الأساتذة (تاريخ) لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠١- ٢٠٠٤).
– شغل عضوية اللجنة العلمية للوثائق لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠١- ٢٠٠٤).
– يشغل حاليا عضوية لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة كممثل للجمعية التاريخية بالمجلس.
– عضو اللجنة العلمية لتوثيق تاريخ مصر والقضية الفلسطينية بالمجلس الأعلى للثقافة.
– له بحوث منشورة بالإنجليزية والفرنسية وقد ترجمت العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة كتابة "دور الحضارة العربية الإسلامية فى النهضة الأدبية كنموذج لحوار الحضارات" إلى الإنجليزية والفرنسية.
– له كتابات فى الصحف، ولقاءات تليفزيونية.
– حصل على جائزة مبارك العالمية لأحسن البحوث التى قدمت لاتحاد الكتاب الأفريقين والآسيوين عام (٢٠٠٥- ٢٠٠٦).
– حقق مذكرات الزعيم أحمد عرابى التى تزيد على الألف صفحة.
– له كتابات مبتكرة عن تاريخ الجامعات المصرية آخرها مائة عام على إنشاء أول جامعة فى مصر، كما أن له العديد من الكتابات عن التعليم العالى فى القرن التاسع عشر.
– يضاف إلى ذلك ان له ما يزيد عن الخمسين كتابا فى تاريخ مصر الحديث والعالم العربى ترجم بعضها إلى لغات أجنبية وفيما يلى أسماء هذه المؤلفات:

٣ – من أبرز مؤلفاته:

❖ تاريخ مصر الحديث فى الجامعات الأمريكية والمصرية منذ نشأتها وحتى عام ١٩٨٤.
❖ مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر (١٧٩٨-١٩٧٣).
❖ عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية.
❖ الخديوى عباس الثانى والحزب الوطنى.

- ❖ الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع (١٩٠٨- ١٩٢٥م)
- ❖ طه حسين والجامعة المصرية.
- ❖ الجامعة المصرية والمجتمع (١٩٠٨- ١٩٤٠).
- ❖ الثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية.
- ❖ الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية.
- ❖ مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية.
- ❖ مدرسة القضاء الشرعى (١٩٠٧- ١٩٣٠).
- ❖ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٤٥-١٩٨٥)
- ❖ تاريخ مدرسة المعلمين العليا (١٨٨٠-١٩٣٣).
- ❖ الجذور التاريخية لفكرة الجمهورية فى مصر.
- ❖ الجيش المصرى وفتح عكا (١٨٣١- ١٨٣٢).
- ❖ ثورات الدروز والموازنة ضد حكم محمد على فى بلاد الشام (١٨٣٥-١٨٤٠).
- ❖ العالم العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر.
- ❖ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨.
- ❖ منهج البحث التاريخى (بحوث ودراسات).
- ❖ العالم الأوروبى فى التاريخ الحديث والمعاصر.
- ❖ معركة نصيبين (١٨٣٩).
- ❖ اتجاهات الكتابة التاريخية فى مصر فى القرنين ١٩، ٢٠.
- ❖ ارتباط عسير الدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى.
- ❖ الأدارسة فى المخلاف السليمانى وعسير.
- ❖ عسير خلال قرنين (١٨٠٠- ١٩٨٨).
- ❖ الاعتداء على الحرمين الشريفين عبر التاريخ (بالاشتراك).
- ❖ المدخل إلى علم التاريخ (بالاشتراك).

❖ مقدمة تحليلية لتراث النديم (التنكيت والتبكيت- الأستاذ- كان ويكـــون- المسامير).
❖ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث.
❖ دراسات فى تاريخ مصر السياسى فى العصر الحديث.
❖ ملفات خدمة وربط معاش زعماء مصر السياسيين.
❖ تاريخ السينما المصرية.
❖ الحزب الوطنى بين زعامتين (مصطفى كامل ومحمد فريد).
❖ مدرسة الحقوق الخديوية وتكوين الزعامات المصرية (١٨٦٨-١٩٢٥).
❖ مدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب فى مصر (١٨٣٥/١٩٧٣).
❖ العالم الأوروبى فى التاريخ الحديث والمعاصر منذ عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين.
❖ مذكرات الزعيم أحمد عرابى (٣ أجزاء).
❖ صفحة عشق لزعيم وطنى (مصطفى كامل).
❖ من قضايا العنف السياسى فى مصر.
❖ عصر محمد على باشا الكبير.
❖ المشرق والمغرب دراسات فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر.
❖ محاكمة سليمان الحلبى نموذج لعدالة الفرنسيس فى مصر.
❖ العثمانيون بين أوروبا والعرب ومحمد على.
❖ خفايا العلاقات المصرية والسعودية فى عهد الملكية المصرية.
❖ الملك فهد بن عبد العزيز وانجازاته الداخلية والخارجية.
❖ دور الحضارة العربية الاسلامية فى النهضة الأوروبيـــة كنمـــوذج لحـــوار الحضارات.
❖ وثائق ونصوص فى: تاريخ الدولة العثمانية- تاريخ مصر العثمانية.
❖ تاريخ مصر فى العصر العثمانى.
❖ تطور الموسيقى والطرب فى مصر الحديثة.

- ❖ المجتمع المصرى بين الثابت والمتغير.
- ❖ تاريخ الجامعات المصرية- دراسة فى الوثائق.
- ❖ مدارس عليا ساهمت فى إنشاء الجامعات المصرية.
- ❖ البعثات العلمية المصرية إلى أوروبا — دراسة فى الوثائق.
- ❖ صفحات من تاريخ المرأة المصرية.
- ❖ الجامعة المصرية القديمة ١٩٠٨/ ١٩٢٥.
- ❖ لجنة ملنر والعمل من أجل استقلال مصر.
- ❖ مفاوضات النحاس / هندرسون فى ضوء الوثائق.
- ❖ عباس الثانى خديوى مصر الأخير (صفحة هامة من تاريخ مصر).
- ❖ وثائق معاهدة ١٩٣٦.
- ❖ عباس الثانى خديوى مصر الأخير.
- ❖ طه حسين مسيرة حياة وقضية كفاح.
- ❖ محمود سامى البارودى رب السيف والقلم.
- ❖ شاعر النيل حافظ ابراهيم.
- ❖ أمير الشعراء أحمد شوقى.

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات


الهيئة العامة للإستعلامات
STATE INFORMATION SERVICE